مقياس : تاريخ الفن

(السنة أولى ليسانس، السداسي الثاني)

فنون بلاد الرافدين

فنون بلاد الرافدين خلال العصر النيوليتي و فجر التاريخ

تمهيد

يطلق مصطلح بلاد الرافدين، أو بلاد ما بين النهرين، و هو مصطلح مشتق من الكلمة الأغرقية "ميزوبوطامية" على المنطقة التي تمتد ما بين نهري دجلة و الفرات، و التي شهدت ازدهار واحدة من أقدم حضارات العالم، و التي تشمل في الوقت الراهن جمهورية العراق، أما من الناحية التاريخية فكانت تشمل منطقة واسعة تمتد إلى غاية شمال – شرق سوريا، و جنوب غرب إيران غربا، و كان لها تأثيرا قويا على البلدان المجاورة، على بلاد الشام، و أسا الصغرى، و حتى بلاد اليونان، و لعبت دورا حاسما في تطور الحضارة الإنسانية، من خلال العديد من الابتكارات في جميع المجالات، في الفلاحة، و الصناعة، و في الفنون و الدين و الفكر، و تعد الأساس الذي قامت عليه الحضارة المعاصرة.

تتشكل بلاد الرافدين في من الشمال من هضاب شبه جافة، أما بقية البلاد فهي أرض منبسطة و صحراوية، ذات مناخ حار و جاف، يخترقها نهران عظيمان و هما نهرا دجلة و الفرات، اللذان ينبعان من جبال ارمينيا بأسيا الصغرى في الشمال و يلتقيان في جنوب العراق ليشكلان منطقة مستنقات واسعة يطلق عليها تسمية شط العرب، و يصبان في الخليج الفارسي

استقر الإنسان بالمنطقة منذ العصر الحجري القديم الأوسط، و خلال العصر الحجري الحديث كانت بلاد الرافدين جزء من منطقة هلال الخصيب (إيران، اسا الصغرى و بلاد الشام)، التي عرفت ثورة في نمط معيشة الإنسان، نتيجة اختراع الفلاحة و تربية الحيوانات. ففي حوالي 8 000 سنة قبل الميلاد، و نتيجة تغير في المناخ، عرفت منطقة الشرق الأوسط مرحلة جاف مشابه للمناخ الحالي لمناخ البحر الأبيض المتوسط، و هو مناخ كان مناسبا لظهور انواع من النباتات البرية و هي الحبوب و البقوليات.

كان شمال العراق من بين المناطق الأولى التي مارس فيها الإنسان النشاط الفلاحي و تربية الحيوانات، مما دفعه إلى الإستقرار، بعدما كان يعيش حياة ترحال مستمر متتبعا هجرة الحيوانات التي كان يعيش على اصطيادها. و هكذا تمكن الإنسان من التحكم في مصدر قوته من خلال تخزين هذه المنتوجات الفلاحية القابلة للحفظ لمدة طويلة بعد تجفيفها و هي الحبوب و البقوليات (القمح، الشعير، البازلاء...)، كما أن تربية الحيوانات (الماعز البري) سمحت له بالحصول على مصدر دائم للحوم و الحليب، و لم يعد مصير الإنسان مرتبط بتوفر الطرائد البرية.

و كان لهذا النمط الجديد من المعيشة انعكاسات هامة على حياة الإنسان. فممارسة النشاط الفلاحي فرضت على الإنسان الإستقرار، و من ثم بدأت تتشكل أول التجمعات البشرية و التي تطورت لاحقا إلى قرى، ثم إلى مدن، كما أدى توفر الغذاء إلى الزيادة في الكثافة السكانية، و تعقد في الحياة، و بالتالي التخصص في العمل، فضهرت طبقة الحرفيين لصناعة الأدوات المختلفة التي تتطلبها النشاطات الجديدة للأنسان، كما أن ضرورة تنظيم العلاقات بين مختلف فئات تلك المجتمعات أدت إلى تزعم بعض الأشخاص لتلك التجمعات البشرية، لما كان يتميزون به من ذكاء و قوة، كما ظهر طبقة الكهنة لتفسير الأمور الغيبية و الأمور التي تحيط بالإنسان في حياته اليومية و لا يستطيع فهمها و التي تهدد حياته، مثل

PDF Creator Trial

البرق و الرعد و الأمطار و الفياضانات و الأمراض، و التي يرجعها إلى قوى خفية تتحكم في مصيره، و هكذا نلاحظ انه بدأت تتشكل في هذه المجتمعات الفلاحية الأولى الأسس التي ستقوم عليها الحضارات القديمة في الشرق الأوسط.

و أقدم المواقع شهدت الفلاحة في بلاد الرافدين، نجد موقع جرمو بمنطقة كردستان، شمال العراق، يؤرخ ب 8000 سنة قبل الميلاد، وجدت فيه آثار ممارسة النشاط الفلاحي و تربية الحيوان، و كذلك اثار منازل مبنية من اللبن المجفف، و ادوات فلاحية (مناجل من حجارة السيلاكس)، و اماكن للتخزين المنتوجات الفلاحية، و بقايا أواني فخارية خشنة في الطبقات الحديثة من الموقع (بداية الألف السابع ق. م) و جرار منحوتة في الرخام في الطبقات القديمة.[1]

خلال الألف السادس ق. م، تشكلت السهول الواسعة بين نهري دجلة و الفرات نتيجة الجفاف الذي شهدت المنطقة التي صاحبت انحسار الجليد نحو شمال أوروبا و اسيا، كما شهد نزوح شعوب من شمال العراق و جبال الزقروز (Zagros) من الهضبة الإيرانية، و من شبه الجزيرة العربية، إلى هذه المنطقة من العراق، و شكلوا حضارات فلاحية متتالية و هي :

حضارة حسونة ، حضارة سامراء، و حضارة تل حلف.

حضارة حسونة (5500 – 5800 ق.م)

تنسب هذه الحضارة لموقع حسونة بشمال العراق، حيث كشفت الحفريات الآثرية في أقدم طبقات هذا الموقع على بقايا فخار بدائي و خشن، تمت تلميسها بواسطة الحجارة أو العظام، و هي في غالب الأحيان خالية من الزخرفة ، و إن وجدت فهي بسيطة و تتمثل في اشكال هندسية، منها خطوط (صورة رقم 1)، مثلثات، شبكات من المربعات باللون الأحمر، كما وجدت في الطبقات العلوية من الموقع آثار منازل كانت تتكون من عدة غرف تتوزع على جانبي ساحة مركزية، غرف السكن من جهة، و المطبخ و المخزن من جهة، مبنية من اللبن. كما وجدت بالموقع تماثيل صغيرة من الطين لنساء عاريات و بدينات (صورة رقم 2) و كانت هذه الحضارة انتشرت هذه الحضارة خاصة في شمال العراق كما تؤكد ذلك حفريات في مواقع أخرى على غرار موقع تل سوكو، و تل الثلاثات، و يريم تيبي (yarim tepe)،

صوؤة رقم 1: حضارة حسونة أنية من الفخار

صورة رقم 2 : حضارة حسونة تماثيل طينية

[1] Denis Vialou (dir.), Roger Joussaume et Jean-Pierre Pautreau, *La préhistoire : histoire et dictionnaire*, Paris, Robert Laffont, coll. « Bouquins », 2004, p. 768.

PDF Creator Trial

حضارة سامراء (5000 – 5600 ق.م)

صورة رقم 3 : حضارة سامراء، طبق من الفخار

عُرفت هذه الحضارة من خلال الفخار الذي عثر عليه في موقع مدينة سامراء الحالية، و يتميز بتطور كبير مقارنة بفخار الحضارة السابقة، فهو يتميز برقة عجينته، و لونه البني الفاتح، و زخارف متنوعة باللون الأحمر أو البني، تمثل نساء و رجال و غزلان، و طيور، و أسماك، و حيوانات أخرى (صورة 3). عُرفت هذه الحضارة خاصة من خلال آثار موقع تل الصوان، الواقع على بعد 11 كم من مدينة سامراء، حيث اكتشفت فيه اثار منازل تخطيطها بشكل حرف T، تتكون من عدة غرف و ساحات، مبنية من الطوب و الجدران مكسوة بطبقة من الجير، و آثار تحصين تتمثل في خندق و سور من الطين، كما وجدت بالموقع أقدم دلائل على استعمال الري في الفلاحة. و كانت هذه الحضارة منتشرة في وسط و شمال العراق.

حضارة تل حلف (4700 – 5500 ق.م)

و يعتقد أن هذه الحضارة ليست أصيلة من بلاد الرافدين، و إنما تعود إلى شعوب هاجرت إلى بلاد الرافدين قادمة من هضبة الأناظول، و انتشرت خاصة في شمال العراق و سوريا.

تتميز بمنازلها ذات الشكل البيضوي و سقفها بشكل يشبه الأقبية الهرمية التي نراها لاحقا في المقابر الميسينية، أما الفخار، فهو ارقى و أجمل فخار يعود إلى هذه الحقبة، و يتميز برقة عجينته، و يُلون بلون بني فاتح يميل إلى الوردي، و فوقه ترسم عناصر زخرفية متنوعة باللون الأبيض، و الأسود، أو الأحمر، غالبا ما تكون عناصر هندسية (دوائر، مثلثات، مربعات، صلبان، شبكات من الخطوطات المتقاطعة)، و في بعض الأحيان أزهار (صورة رقم 4)، غزلان مستلقية، و فهود(felins) واثبة.

صورة رقم 4 : حضارة حلف، طبق من الفخار الملون

PDF Creator Trial

حضارة العُبيد او العُبيديين (3800- 6500 ق.م)

و تسمى كذلك نسبة إلى موقع العُبيد جنوب العراق، و شملت جميع مناطق بلاد الرافدين، و بشكل خاص جنوب العراق، و أهم مواقع هذه الحضارة مدينة إيريدو (Eridou) الواقعة على ضفاف الفرات، و على بعد 15 كم جنوب غرب مدينة أور، و قد كشفت الحفريات الآثرية في هذا الموقع على 17 طبقة آثرية.

و تعد هذه الفترة مرحلة جد مهمة في تاريخ بلاد الرافدين، فإذا كانت حضارة حسونة و سامراء و حلف، إزدهرت في شمال العراق، فإن حضارة العُبيديين ازدهرت في جنوب العراق، من المحتمل جدا أن العُبيديين كانوا مزين من شعوب قدمت من شمال العراق إلى الجنوب و تمتهن الفلاحة، و امتزت بشعوب سامية قادمة شبه الجزيرة العربية كانوا يعتمدون على تربية الماشية، شكلوا حضارة امتدت إلى شمال العراق و بطول سواحل الخليج الفارسي إلى غاية البحرين و عُمان.

و يرجع إليهم الفضل إلى العُبيديين في التوسع في الفلاحة، بفضل التحكم في المياه و بناء قنوات الري، و استصلاح الأراضي الفلاحية، و ربط علاقات تجارية مع الأقاليم المجاورة لبلاد الرافدين. و في عهدهم شهد توسع كبير للقرى و التجمعات الفلاحية، و قد كشفت الحفريات على آثار منازل مستطيلة متعددة الغرف من الطين و اللبن، و تماثيل صغيرة لنساء عريات من الطين المشوي، تتميز بالرقة و الرشاقة و رؤوسها غريبة نوعا (صورة رقم 5)، و صناعة أواني فخارية ذات لون مائل إلى الخضرة، مزين بأشكال هندسية بُنية أو سوداء (صورة رقم 6)، كما صنعوا مناجل من الطين المحروق. كما شهدت هذه الفترة اختراعات مهمة، ابرزها المحراث، العجلة، و الدولاب و بالتالي صناعة الفخار على نطاق واسع، و بداية صناعة المعادن,

صورة رقم 6 : حضارة العُبيد، آنية فخارية

صورة رقم 5 : حضارة العُبيد تمثال صغيرة من الطين المشوي

PDF Creator Trial

فنون فترة فجر التاريخ

رغم ان جنوب العراق كان ذو تربة طمي خصبة، غير أنها لم يكن منطقة صالحة لعيش الأنسان بسبب مشكل المياه. ففي فصل الربيع تشهد المنطقة فيضانات خطيرة بسبب ذوابان ثلوج الجبال ارمينيا التي تغذي نهري دجلة و الفرات، لتصبح منطقة بحيرات و مستنقعات، تعج بمختلف الحشارات مصدر للأمراض الخطيرة، ، ،أما في الفصل الصيف، فتعرف فترة جفاف بسبب درجة الحرارة المرتفعة، فتتصلب الأرض لتصيح كالحجارة، و من الصعب استغلالها في الفلاحة و العيش فيها. و ما إن تمكن الإنسان من التحكم في المياه، جعل من هذه المنطقة أغنى منطقة في العالم القديم، و مهد واحدة من أقدم و أهم حضارات العالم، و كان له ذلك من خلال بناء السدود و القنوات التي سمحت له بتخزين الفائض من المياه خلال موسم الفياضات، و بالتالي حماية الأراضي الفلاحية من الفيضانات، و استغلال ذلك المخزون من المياه في فصل الجفاف لري محاصيله الفلاحية، و هكذا أصبح في مقدوره الإنسان من زراعة مساحات واسعة من الأراضي، و الحصول على عدة محاصيل في السنة الواحدة، و في هذه الضروف ازدهرت حضارة الوركاء.

حضارة أوروك (3700-2900)

أصبحت منطقة جنوب العراق خلال الألف الرابع قبل الميلاد، مركز إشعاعي حضاري شمل الشرق الأوسط بكامله، و كانت مدينة أوروك مركز هذه الحضارة، و امتد تآثيرها إلى الهضبة الإيرانية شرقا، و بلاد الأناظول شمالا، و بلاد الشام غربا، و ربما إلى غاية مصر في فترة ما قبل الأسرات.

كان للتحكم في المياه، و التوسع في استصلاح الأراضي و ازدياد مساحاتها و بالتالي وفرة الإنتاج الفلاحي، و صاحبه زيادة في الكثافة السكانية، و ادى ذلك إلى تحول القرى إلى مدن كبرى، فلأول مرة في تاريخ البشرية تظهر حركة تعمير و تمدن واسعة، و ازدادت مساحة تلك المدن، و أحيطت بخنادق و اسوار، و شيدت بداخل اسوارها مباني ضخمة و أولى المعابد في تاريخ البشرية، و استعمل في بناءها الأجر المشوي، فهو أكثر صلابة من الأجر المجفف، و من و اهم مدن هذه الفترة، أور، إيريدو، لاقاش، أُووما، تل برسيب، و أهم هذه المدن على الإطلاق مدينة أوروك، و التي تعد المركز الديني و الثقافي، و بها عثر على أهم الآثار التي تعود إلى هذه الثقافة،

إن وفرة الإنتاج الفلاحي من جهة، و فقر البلاد للمواد الأولية مثل المعادن و الأخشاب، أدى إلى ربط علاقات تجارية واسعة مع البلدان المجاورة للحصول على المواد التي تفتقر إليها البلاد، و ادت الحاجة لإحصاء و جرد مختلف المنتجات الفلاحية، و لتسهل عمليات المبادلات التجارية، إلى اختراع نظام للحساب، و الأختام الأسطوانية للتوثيق للممتلكات و المعمالات التجارية (صورة رقم 7)، و اختراع الكتابة لإول مرة في حوالي 3500 قبل الميلاد، و التي تعد أهم اختراع في تاريخ البشرية، هي كتابة صورية (صورة رقم 8) تطورت لاحقا إلى الكتابة المسمارية، و كان لهذا الإختراع دورا حاسما في تسارع تطور الفكر الإنساني، حيث اصبح في مقدور الإنسان من توثيق لتجاربه و لمعارفه و لعلومه، و تسمح لغيره الإستفادة منها، و يضيف لها معارفه و ينقلها لغيره من الأجيال.

PDF Creator Trial

صورة رقم 7 : ختم اسطوانى

صورة رقم 8 : نموذج من الكتابة التصورية ببلاد الرافدين (3500ق.م)

من الناحية الفنية فأهم ما يميز هذه المرحلة هو التمدن و تطور القرى إلى مدن كبيرة و مزدهرة، على غرار مدينة أوروك، كما نشاهد ظهور أولى النماذج من المنتجات الفنية التي ستصبح المثال الذي ستقوم عليه الفنون السومرية لاحقا.

فمن الناحية المعمارية نشاهد بناء معابد ضخمة تقوم على قاعدة ضخمة من الأجر ذات الجدران المائلة نحو الداخل، و على ضؤوها بنيت الزقورات السومرية كما هو الحال في المعبد الأبيض بمدينة أوروك(شكل رقم 1). كما شهدت استعمال الأجر المحروق، و مادة القار(bitume) للرابط بين صفوف الأجر، و كذلك كمادة عازلة. و من الناحية الزخرفية نشاهد استعمال أنصاف الأعمدة المدمجة في الجدران (صورة رقم 9)، مزينة بمسامير طينية مثبة في سطح تلك الأعمدة لتشكل زخارف هندسية (معينات، مثلثات، خطوط منكسرة) متعددة الألوان (سوداء، بنية و حمراء)، تشبه من حيث تقنية تثبيتها تقنية الفسيفساء التي ازدهرت لاحقا عند الرومان

شكل رقم 1 : أولى معابد مدينة أوروك

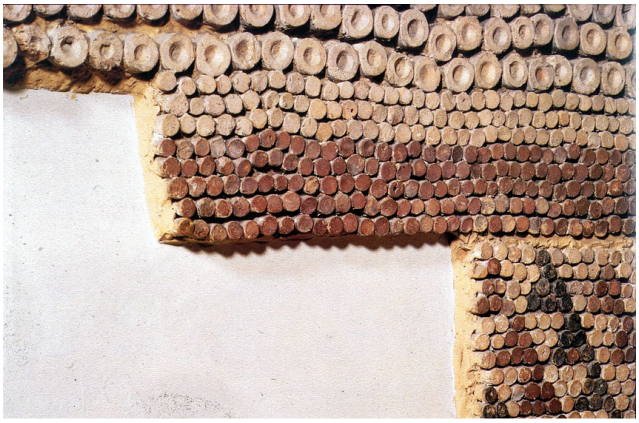

صورة رقم 9 : زخارف بواسطة مسامير طبينية تزين اعمدة المعبد الأبيض

من ناحية النحت المجسم (التماثيل)، وصلتنا بعض النماذج المهمة، اهمها رأس من الرخام (سيدة أوروك)، تتميز بدقة عالية و واقعية لا نجدها لاحقا في فنون السومرية، كما عيونها مرصعة بأحجار ثمينة و حواجبها و شعرها بمادة القار الأسود(صورة رقم 10)، كما لدينا تمثال أخر يمثل لكاهن ملتحي، واقف و في وضعية المواجهة و يديه مضمومتان على صدره (صورة رقم 11)، و هي الوضعية التي تصبح القاعدة في التماثيل السومرية لاحقا.

PDF Creator Trial

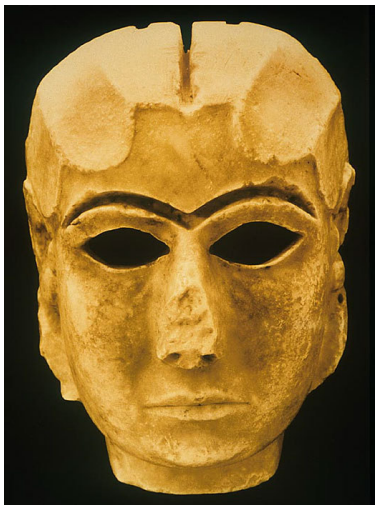

صورة رقم 10 : راس امرأة من الرخام (بسيدة

صورة رقم 11 : تمثال لكاهن

بالنسبة **للنحت البارز** لدينا نموذجا يمثل النحت البارز في هذا العهد، و هو عبارة عن مزهرية ضخمة من حجارة الألبستر (صورة رقم 12)، من مدينة أوروك (ارتفاعه 106 سم و قطره 36 سم) نقشت على سطحه بالنحت البارز و في ثلاثة مستويات أفقية، مواضيع متنوعة. ففي المستوى العلوي نقشت عليه مشهد صف من الأشخاص يحملون شتى أنواع السلع لتقديمها كقرابين للألهة **إينانا**، أما في المستوى الأوسط نشاهد صف من الرجال العُراة يحملون شتى أنواع المنتجات الفلاحية في سلال على رؤوسهم، بينما في المستوى السفلى، نقشت في صفوف الماشية و الحقول أو النباتات التي كانت تزرع. أسلوب نقش الأشخاص، و النباتات سيصبح النموذج التي استعمل لاحقا عند السومريين.

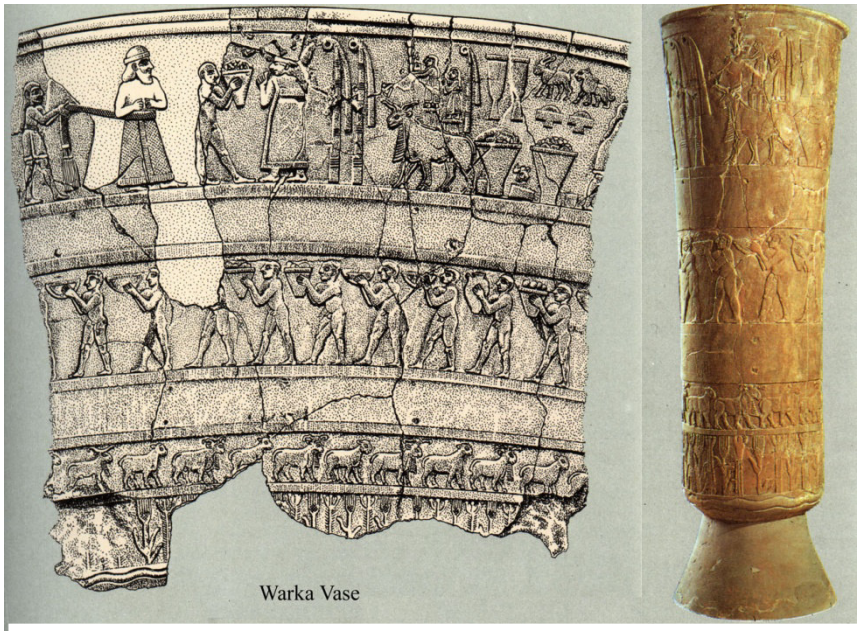

صورة رقم 12 : مزهرية أوروك

PDF Creator Trial

كما ازدهرت خلال هذه الفترة صناعة **الفخار** على نطاق واسع و بشكل صناعي و كان يصدر إلى جميع أنحاء الشرق الأوسط القديم، و يتميز بأشكاله المتنوعة و بلونه البني الفاتح و زخارفه باللون البني القاتم أو الأحمر، و التي تعتمد أساسا على الحيوانات البرية و أجمل مثال عنه كأس عثر عليه بمدينة سوس (Suse) مزين بصفوف من الطيور و الكلاب و الماعز البري في مستويات أفقية متتالية (صورة رقم 13).

صورة رقم 13 : نموذج من فخار حضارة أورون

PDF Creator Trial

فنون بلاد الرافدين خلال العصور التاريخية

الفنون السومرية و الأكادية

الفنون السومرية

السموريون شعب سكن جنوب العراق و أسس اقدم حضارة في تاريخ البشرية، و قد اختلفت الأراء حول أصل السومريون، و يتفق أغلب الباحثين على القول أن السمومريون ليسوا من بلاد الرافدين و إنما هجروا إلى المنطقة قادمين إليها ربما من منطقة القوقاز، أو منطقة بحر قزوين، أو أسيا الوسطى، أو بلاد علاَّم، و معتمدين في ذاك على اختلاف اللغة السومرية عن لغات الشعوب التي كانت تعيش ببلاد الرافدين، كما أسماء دجلة و الفرات و اهم مدن بلاد الرافدين (أوروك، أور، إيريدو، كيش، لاقاش، لارسا، نيبور، إسين، شوروباك) لا نجد لها اصلا في اللغة السومرية. بينما يرى البعض الأخر أنهم من بين الشعوب المحلية، و هم امتدادا لإقوام عصور ما قبل التاريخ في بلاد الرافدين، و أنهم انحدروا من شمال العراق الى الجنوب و استوطنوا في منطقة كانت على الأرجح تعرف باسم (سومر) و التي عرف السومريون باسمها في العصور التاريخية اللاحقة.

مع بداية الألف الثالثة ق.م، اصبح السومريين أسياد بلاد الرافدين، و فرضوا ثقافتهم و لغتهم و ديانتهم على البلاد التي أصبحت تعرف باسمهم، و ينقسم عهد سومر إلى مرحلتين : مرحلة أولى و تسمى **مرحلة الأسر العتيقة** و تمتد ما بين 2900 و 2340 ق.م، و المرحلة الثانية و التي تلتت أنهيار الإمبراطورية الأكادية، و تسمى بفترة **أسرة أور الثالثة** أو العصر السومري الجديد و تمتد ما بين 2200 و 2004 ق.م حيث انهارت على يد العلاَّميين و اختفى السومريون من تاريخ بلاد الرافدين.

العمارة : المعابد السومرية لا تتخذ شكلا معينا، لذلك فمن الصعب التعرف عليها إن لم نجد بها، كتابات أو مذابح، او أحواض مياه للطهارة، و تكون عادة مستطيلة الشكل، تتكون من عدة غرف أو قاعات تفتح على ساحة أو ساحات مركزية، و غرفة او غرفتين تكون قدس الأقداس، أي غرفة الأله.

غير أهم ما وصلنا من هذه الفترة هي الزاقورات، و قد ظهرت في سومر في عهد السلالة الثالثة، و استمر بناءه في العهود اللاحقة، و هي امتداد للمعابد التي كانت تبنى على قواعد ضخمة ذات جدران مائلة قليلا كما هو في معابد أوروك. هي بناءات دينية و لكن نعرف بالظبط وضيفتها و الطقوس التي كانت تقام بها، و قد بنيت بشكل ضخم بحيث انها تبدو و كأنها جبال تشرف على المدينة و يمكن رؤيتها من بعيد، و هي في العادة ما تكون مستطيلة أو مربعة الشكل تتكون من عدة طوابق، من ألآرجح ثلاث طوابق، و تتوجها غرفة. و هي في الواقع عبارة عن طوابق أو قواعد مملؤة ليست بها غرف أو اروقة، مبنية بالطين المشوي، جدرانها مائلة قليلا نحو الداخل، و من الخارج تكون جدرانها بها نتؤات (retraits) عمودية حيث أن ضلالها التي تتشكل عندما تنعكس عليها اشعة الشمس تعطي مظهرا خارجيا جميلا لجدرانها. و لدينا ثلاث سلالم، على الجدار الشرقي للطابق الأول، سلم ضخم عمودي على الجدار، و سلمين على الجانبين و ملتصقين بالجدار و يلتقي السلالم الثلاث عند السطح الطبق الأول، كما أن كل طابق يكون أكبر من الطابق الذي يعلوه، و أهم

PDF Creator Trial

الزاقورات التي وصلتنا في حالة جيدة من الحفظ زاقورة أور (صورة رقم 1)التي بُنيت على شرف الأله **سين** إله القمر، يبلغ طولها 64 م و عرضها 46 م، و طولها في الوقت الراهين أكثر من 20 م.

صورة رقم : زاقورة أور، صورة جوية

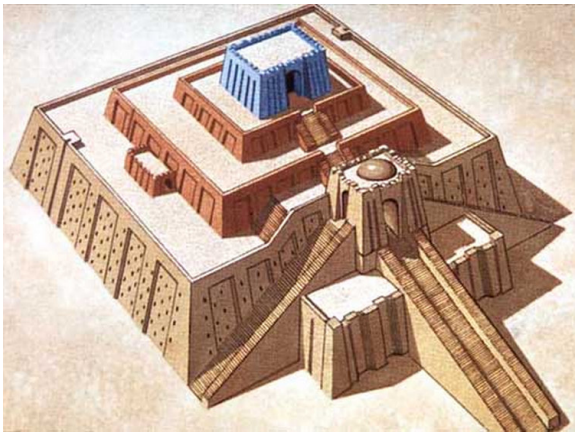

شكل رقم 1: تصور زقور أور كما كانت عليه أصلا

من الناحية المعمارية نشاهد عنصرا مهما في العمارة السومرية سيكون له دورا مهما لاحقا في عمارة بلاد الرافدين و العالم القديم، و هي القبو، حيث استعمل في تغطية سقف الممر المؤدي إلى المقابر الملكية بمدينة أور (2600 و 2400 ق. م)سقف هرمي أو مثلث و الذي يسمى (voute en encorbellement) يسمح بتوزيع ثقل السقف على الطرفين (صورة رقم 2)

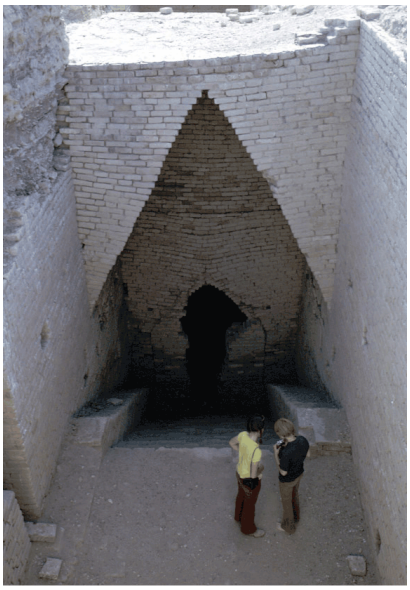

صورة رقم 2 : مدخل المقابر الملكية بأور

النحت المجسم (التماثيل) : و صلنا الكثير من التماثيل السومرية تعود إلى المرحلتين، و هي الغالب صغيرة أو متوسطة الحجم بسبب ندرة الحجارة في بلاد الرافدين، لذلك فإن شكل الكتل الحجرية الذي المتوفرة هو الذي يفرض شكل التمثال و وضعيته.

أغلب التماثيل هي تماثيل للكهنة، أو تمثاثيل لأشخاص كانت توضع في المعابد للعابدة نيابة عنهم، أما تماثيل الألهة و الملوك فهي نادرة. عموما فأن التماثيل السومرية، متشابهة كثيرا، و إن إختلفت في التفاصيل، فهي تتميز بنفس الخصائص، فهي دائما تمثل أشخاصا (نساء أو رجال) في وضعية المواجهة، واقفة أو جالسة، اليدين مضمومتين على الصدر، العينان جاحضتان، مما يدل على أنها في وضعية التعبد، و كل أحساسيها مشدودة نحو الألهة. كما انها تتميز ببعض الخصائص الاخرى، مثل كون الرجال عراة الصدور، و يرتدون لباس صوفي حول الخصر، و عيونها تكون مرصعة بأحجار كريمة بينما الحواجب تكون مرصعة بمادة القار السوداء (صورة ررقم 3 و صورة رقم4)، عموما و إن كانت تحترم النسب التشريحية لجسم الإنسان، فهي تفتقد إلى الدقة و الإتقان.

PDF Creator Trial

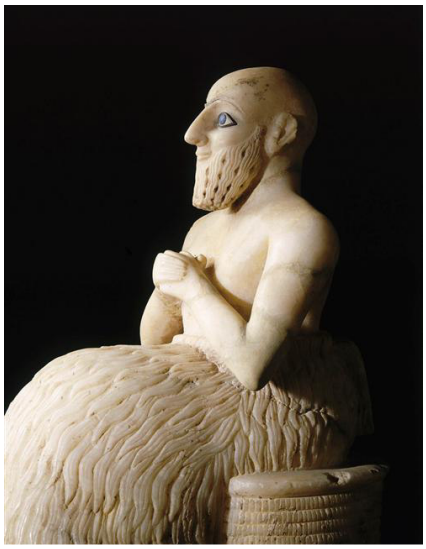

صورة رقم 4 : حاكم مدينة ماري (القرن 25 ق.م)

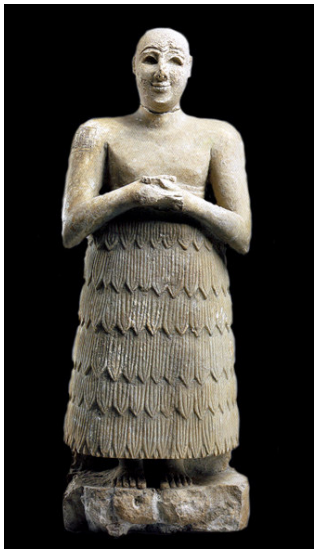

صورة رقم 3: تمثال لوكالدالو ملك مدينة أداب

خلال عهد الأسرة السومرية الثانية التي قامت على انقاض الإمبراطورية الأكادية، نجد ان التماثيل السومرية لا تزال تمثل أشخاصا واقفين أو جالسين و في حالة التعبد و الخشوع، غير انها تتميز عن تماثيل المرحلة الأولى، فهي تتميز بدقة عالية في النحت و في تمثيل تفاصيل جسم الأنسان، كما نشاهد تغير في اللباس و في غطاء الرأس، و هذا يعد من التآثيرات الأكادية على الفن السومري في هذه المرحلة، و أهم ممثال عنها مجموعة من التماثيل للملك **قوديا** (Gudea)ملك مدينة لاقاش (صورة رقم 5)، في وضعيات متعددة.

صورة رقم 5 : تمثال بدون رأس للمك قوديا

بالنسبة **للنحت البارز** (le bas relief) لدينا نماذج قليلة منجزة على الحجارة تعود إلى المرحلة الأولى، أهمها لوحة النسور (stèle des vautours) و التي تمثل مشهدا حربيا، و فيها نشاهد خصائص النحت البارز السومري، اللوحة مقسمة إلى عدة مستويات أفقية فوق بعضها البعض، نقشت فيها و على الوجهين، مشاهد متنوعة من الحملة الحربية التي قادها الملك **(إيناتوم)** ملك مدينة لاقاش ضد مدينة أوما (صورة رقم6)، و فيها نشاهد أن الملك يمثل بحجم اكبر من بقية الشخصيات تعبيرا على مكانته و قوته، و يمثل الرأس دائما في وضعية جانبية، العين كبيرة و في وضعية المواجهة، الجذع في وضعية المواجهة، و القسم السفلي من الجسم في وضعية جانبية، و عموما جسم الإنسان يفتقد إلى الدقة و الإتقان، و هو نفس الأسلوب الذي نشاهد مستعملا على اللوحات الطينية و المشكلة بواسطة القولبة، بها ثقب في المركز لإنها كانت تعلق في المعابد، و التي تقسم إلى عدة مستويات أفقية، تمثل عليها مشاهد متنوعة من الموضوع الممثل و اشهرها لوحة الملك و التي تؤرخ لبناء معبد حيث نشاهد الملك يساهم في بناءه بحمل سلة من اللبن على رأسه (صورة رقم 7)

PDF Creator Trial

صورة رقم 7: الملك أورنانشي يساهم في بناء معبد (لاقاش 2500 ق.م)

صورة رقم 6 : لوحة النسور (2400 ق.م)

أما خلال الفترة الثانية، نلاحظ تطورا كبيرا في النحت البارز السومري، و إن كانت اللوحات لا تزال تقسم إلى مستويات أفقية كما هو الحال في اللوحات السابقة، فإن نحت الأشخاص يكون بدقة عالية و واقعية كبيرة، كما نشاهد ذلك في لوحة الملك أورنامو و يعد ذلك من التأثيرات الأكادية و التي تظهر أيضا في اللباس و في غطاء الرأس (صورة رقم 8)

الفنون التطبيقية (les arts mineurs)

اكتشف بالمقابر الملكية لمدينة أور (2600–2400 ق.م) على الكثير من القطع الآثرية المنتوعة: أواني، حلي، ألات موسقية، علب متنوعة، أسلحة...ألخ و التي تدل على المستوى العالي الذي بلغه السومريون في مختلف انواع الحرف و التقنيات في معالجة مختلف المواد، من النحت و النقش على مختلف أنواع الحجارة، و الخشب، و العاج ترضيعهما و تطعميها بمختلف أنواع الحجارة الثتمينة، و التحكم في العديد من التقنيات في تشكيل المعادن. و من أجمل الأمثلة عن التحف الفنية التي استعملت في صناعتها مواد و تقنيات متعدد، نذكر منها الصندوق الخشبي المرصع بحجارة اللازورد (Lapis–Lazuli)، و الكورنالين، و العاج (صورة 9) و مثلت عليه في مستويات أفقية و بنفس أسلوب النحت البارز و اللوحات الطينية، مشاهد متنوعة من حياة السومريين (مشاهد من البلاط، الحرب، الحياة الإقتصادية).

صورة رقم 9 : صندوق أور

PDF Creator Trial

و من التحف المهمة أيضا نشير إلى العديد من الألات الموسيقية (القيثارة) مصنوعة من الخشب، مرصعة باللازورد و العاج، و مزينة برأس ثور من الذهب و لحيته من اللازورد، و بتميز بدقة عالية في تشكيله عكس ما رأينه في تشكيل الرؤوس الأدمية (صورة رقم 10). كما عثر بالمقبرة على الكثير من الحلي المصنوعة من الذهب و الحجارة الكريمة، و العديد من الأواني المصنوعة من المرمر و الألبستر، و كذلك أواني مصنوعة من الذهب تدل على المستوى الراقي الذي بلغته صناعة و تشكيل المعادن و من اجمل الامثلة على ذلك خوذة حربية من الذهب الخالص (صورة رقم 11).

صورة رقم 10 : قيثارة من مقبرة أور

صورة رقم 11 : خوذة حربية من الذهب

الفنون الأكادية

الأكاديون شعوب سامية نزحوا من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين، و عاشوا في سلام مع السومريين، إلى غاية سنة 2334 ق.م حيث تمكن احد زعماء الأكاديين و هو سرجون الأكادي من بسط سلطته على جميع مدن سومر و كون لأول مرة في تارخ بلاد الرافدين إمبراطورية ذات حكم مركزي و مطلق. غير ان هذه الإمبراطورية لم تدم طويلا حيث انهار حكم الأكاديين سنة 2154 ق،م حيث انهارت إمبراطوريتهم على يد قبائل الغوثيين القادمين من جبال زاقروس، و عادت سيادة السومريين على بلاد الرافدين مجدد (أسرة أور الثلاثة).

تبنى الأكاديون جميع مظاهر الحضارة السومرية، و حتى الديانة السومرية، غير أننا لا نعرف الكثير عن الفنون الأكادية، فنحن لا نعلاف موقع العاصمة **أكاد** التي اندثرت تماما، و لم تصلنا سوى نماذج نادرة عن فنونهم، أهمها رأس من البرونز مصنوعة بتقنية الشمع الضائع، و يتميز بواقعية و بدقة عالية في تمثيل أدق تفاصيل وجه الملك سرجون و حتى في تصفيفة شعره (صورة رقم 12)، كما تمكن الفنان الذي قام بإنجازم من إبراز على وجه الملك ملامح القوة، و الصرامة و العظمة و التي هي في الواقع تعكس لنا واقع الحكم المطلق الذي كان يتمتع به الملك الأكادي، عكس تماثيل مولوك سومر الذين نشاهد على وجوههم ملامح التعبد و الخشوع.

PDF Creator Trial

كما وصلتنا بعض النماذج من **النحت البارز** منها جزء من لوحة تمثل أسرى حرب، أهم ما يميزها هو الواقعية و الدقة العالية في تمثيل جسم الإنسان كما يظهر ذلك في طريقة نحت مختلف عضلات أجسام الأسرى (صورة رقم 13)

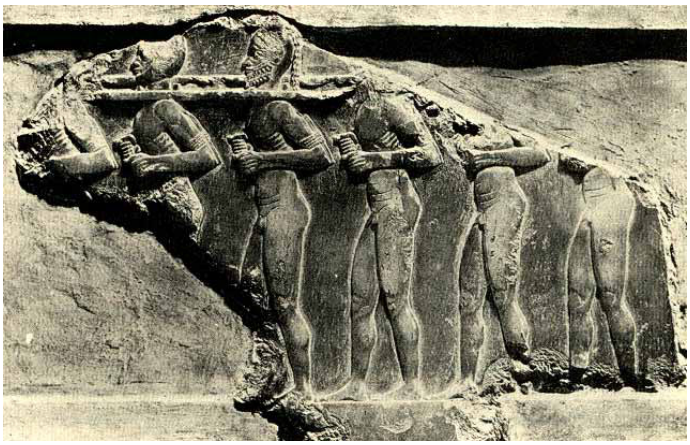

صورة رقم 13 : لوحة الأسرى

صورة رقم 11 : رأس سرجون من البرونز

كما لدينا لوحة تؤرخ لأحدى معارك الملك الأكادي نارام سين حفيد سرجون، و هي لوحة مثلثة استغل النحات شكلها لرواية هذه الحملة العسكرية في ثلاث مستويات أفقية متتالية تتلائم و شكل اللوحة دون أن يقسمها بواسطة خطوط أفقية كما كان الحال عند السومريين، ففي قاعدة اللوحة العريضة مثل جيوش نارام سين و في المستوى الموالي الملك بحجم كبير و هو يقود جيوشه و يدوس على جثث أعداءه و في قمة اللوحة رموز الألهة (الشمس و القمر)، و كما هو الحال في اللوحة الأولى نلاحظ الدقة العالية و الواقعية في تمثيل جسم الإنسان(صورة رقم 14).

صورة رقم 14 : لوحة نارام سين

PDF Creator Trial

فنون الدولة البابلية القديمة

احتل العلاميون بلاد الرافدين سنة 2004 ق.م و قضوا نهائيا على السومريين، و ظل جزء كبير من بلاد الرافدين تحت سلطتهم، في هذا الأثناء ضهر العمُوريون و هم من الشعوب السامية التي هاجرت بدورها من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين، و أسسوا دولة صغيرة في مدينة بابل سنة 1894 ق.م، غير أن هذه الدولة الصغيرة لم تلعب دورا بارزا إلى غاية عهد سادس ملوكها و هو حمورابي (1792 – 1752 ق.م) الذي تمكن من توحيد بلاد الرافدين تحت سيادته ليشكل إمبراطورية عظيمة استمرت إلى غاية سنة 1595 حيث تمكن الحثيون القادمين من أسيا الصغرى من تدمير مدينة بابل، و لكنهم لم يستقروا بها، ثم دخلت تحت سيادة الكشيين (1595 – 1155 ق.م).

صورة رقم 15 : حجر قانون حمورابي

لم يصلنا من هذه الفترة إلا القليل من الشواهد الآثرية، أهمها الحجر التذكاري الذي نقش عليه قانون حمورابي، و هو من حجر الديوريت يبلغ ارتفاعه 2.27 م. القسم الأكبر من الحجر نقش عليه بالخط المسماري قوانين حمورابي (282 قانونا) و نقش في القسم العلوي من الحجر بتقنية النحت البارز، مشهدا يمثل الأله شمش، جالسا على عرشه يعطي رموز السلطة للملك حمورابي الذي يقف أمام الألهم في وضعية الخشوع و يرتدي لباس طويل و غطاء رأس يشبه ما كان يرتديه الأكاديون، و يتميز نحت أجسام الأشخاص (الأله و الملك) بالواقعية و الدقة العالية (صورة رقم 16)

صورة رقم 16 : القسم العلوي من قانون حمورابي

PDF Creator Trial

لعل أهم ما وصلنا من هذا العهد هو اللوحات الطينية المشكلة بواسطة القوالب، و التي تعطينا معلومات غنية عن حياة سكان بلاد الرافدين في عهد الدولة البابلية القديمة منها متمثل ألهة (صورة رقم 17)، و أخرى تمثل مشاهد من الحياة اليومية للسكان و نشاطاتهم (صورة رقم 18)، و حتى مشاهد من حياتهم الجنسية.

صورة رقم 17 : لوحة طينية تمثل الإلهة عشتار

صورة رقم 18 : لوحة طينية تمثل عازف على ألة القيثارة

PDF Creator Trial

فنون بلاد الرافدين في عهد الأشوريين

تمهيد تاريخي

ينسب الأشوريون إلى مدينة أشور، و هو أيضا إسم إله المدينة الواقعة شمال العراق، و بدأت قوة الأشوريون تنمو تدريجيا بداية من الألف الثاني ق.م، غير انهم اصطدموا بالقوى الاعظمى انذاك، و هم البابليون في الجنوب، الحثيون في اسيا الصغرى و الميتانيون في بلاد الشام، هذا إلى غاية القرن التاسع ق.م، بداية من عهد أشورنازيربال، حيث أصبح للأشوريين قوة كبرى في الشرق الأوسط القديم، و شرعوا في حركة توسع على حساب جيرانهم، ليشكلوا إمبراطورية عظيمة بلغت أوج قوتها في عهد سرجون الثاني (722 – 705 ق.م) و خلفاءه سنحريب (704 – 681 ق.م) ، أسرحدون (680 – 669 ق.م)، و أشوربانيبال (668 – 627 ق.م) الذين تمكنوا من احتلال بابل، و بلاد علام، و الشام، و فلسطين و حتى مصر الفرعونية، غير ان هذه الإمبراطورية سرعان ما أنهارت تحت ضربات تحالف مكون من البابليين و الميديين الذين تمكنوا من احتلال العاصمة الأشورية نينوى و تدميرها سنة 612 ق.م، و بذلك اختفى الأشوريون من التاريخ.

الفنون الأشورية

ورث الأشوريون التقاليد الفنية التي كانت سائدة في بلاد الرافدين منذ عهد السومريين، كما تآثروا ايضا بفنون أسيا الصغرى القريبة منهم جغرافيا، و يتميز الفن الأشوري بالعظمة و القوة، فهو فنا رسميا في خدمة السلطة، لتمجيد قوة الأباطرة الأشوريين، و إدخال الرهبة في نفوس و أذهان زوار مدنهم و قصورهم ابهارهم.

ترك لنا الأشوريون تراثا فنيا عظيما، يتمثل أساسا في المدن و القصور التي شيدوها بمختلف ارجاء الإمبراطورية. كانت مدينة أشور العاصمة في بداية الأمر، ثم انتقل مقر السلطة إلى مدينة نيمرود (كلخو حاليا)، ثم أسس سرجون الثاني عاصمة جديدة و هي مدينة دورشاروكين (خورسباد حاليا)، التي هجرها خليفته سنحريب و يؤسس عاصمة جديدة و هي مدينة نينوى، و كلها في شمال العراق قرب مدينة أشور. هذا إلى جانب قصور بمدن أخرى منها قصر بتل برسيب بسوريا.

قصر دور شاروكين

يُعد قصر دورشاروكين (خورسبَاد) أهم القصور الأشورية، التي كشفت الحفريات به على اهم اقسامه، كما امدنا بالكثير من التحف الفنية التي تزخر بها كبريات متاحف العالم.

اسست مدينة دور شاروكين من طرف سرجون الثاني (721 – 705 ق.م) بعدما هاجر قصر نيمرود (كالخو)، و تتخذ المدينة مخططا مربعا تقريبا (1760 م X 1650 م)، أي حوالي 288 هكتار، يحط بها صورا طوله 7 كم، سمكه 24 م، و ارتفاعه يتراوح ما بين 15.50 م و 24,50 م، بُني من الطين المحروق على قاعدة من الحجارة، و تتخلله 157 برجا يبلغ ارتفاعها 30 م، و تتخله 7 ابواب، تحميها ثيران مجنحة ضخمة يبلغ وزها 40 طنا.

PDF Creator Trial

يستند القصر على الصور الشمالي للمدينة، و يحيط به صورين، صور أول يشكل مساحة مستطيلة الشكل تقريبا بها مساكن الوزراء و كبار الدولة و معبد الأله نابو، ثم صور ثان يحيط بالقصر بأتم معنى الكلمة و يفصله عن بقية المباني (شكل رقم 1).

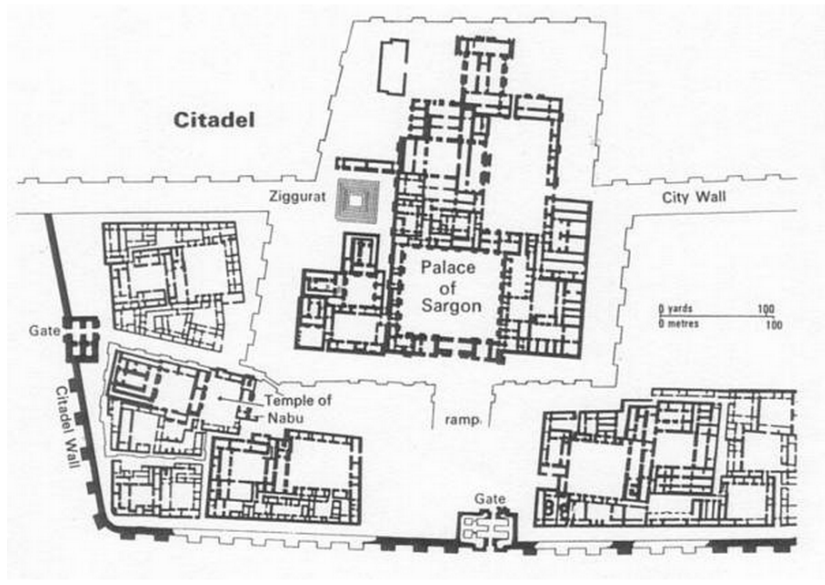

شكل رقم 1 : مخطط قصر دورشاروكين

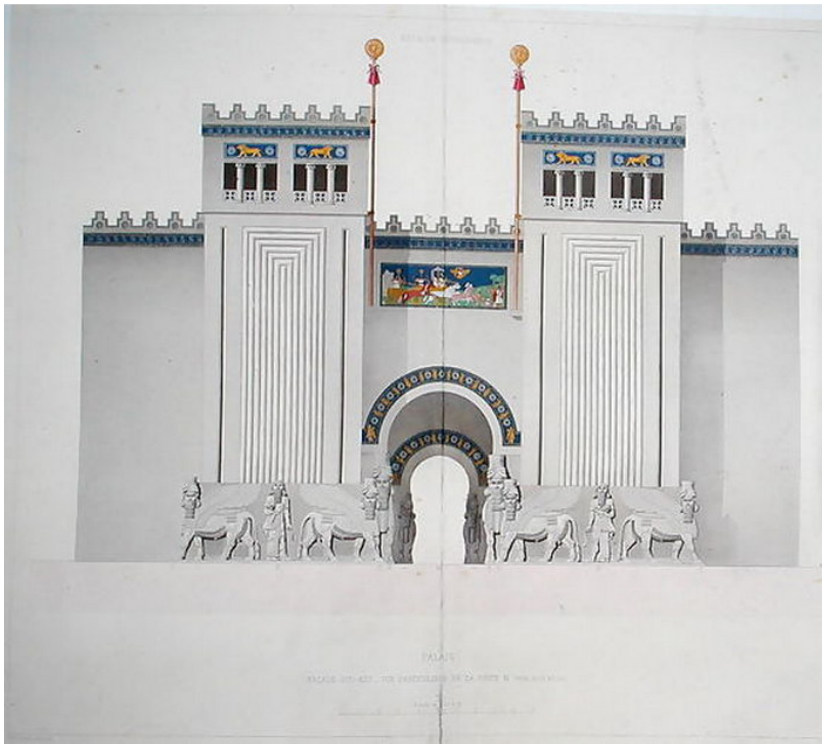

بُني القصر على قاعدة ضخمة يتراوح ارتفاعها ما بين 16 م 18 م، مما يجعل القصر يشرف على المدينة و يمكن رؤيته من بعيد، و هناك العديد من الممرات المنحدرة تسمح للخيول و العربات للصعود إلى سطح هذه القاعدة، و سلالم ضخمة تؤدي إلى البوابة الرئيسية للقصر، و هي بوابة ضخمة و مقوسة يغطيها قبو نصف دائري و يحميها على الطرفين برجين ضخمين بارزين، و على جانبي المدخل و قاعدة البرجين ثيران مجنحة(شكل رقم 2).

شكل رقم 2 : البوابة الرئيسية بقصر دورشاروكين

PDF Creator Trial

يتكون القصر من حوالي 200 غرفة و ساحة، تتوزع حول ثلاث ساحات رئيسية للقصر : ساحة أولى ضخمة من الجهة الجنوبية تؤدي إليها البوابة الرئيسية للقصر، و تفتح عليها المرافق الإدارية للقصر، و المخازن، و المطابخ...الخ، و منها ننتقل إلى ساحة ثانية أصغر من الأولى، و هي الساحة الشرفية التي تفتح عليها قاعة العرش، و قاعات الإحتفالات الرسمية، و في مؤخرة القصر، نجد ساحة ثالثة و هي أصغر من الساحتين السابقتين، تفتح عليها الغرف و القاعات الخاصة بالملك أي الحريم، أين تعيش زوجات الملك، و الأطفال صغار السن فقط. و في الجهة الجنوبية الغربية للقصر مجمع ديني، يتكون من معبدين متقابلين للأله شمش و الأله سين، و زاقورة ضخمة. عموما جدران القصر تتميز بالسمك حتى يكون البناء حصينا و متينا، و يساهم في الحفاظ على برودة غرف القصر خلال فصل الصيف، و على الدفء في فصل الشتاء.

الزخرفة

الزخرفة الخارجية للقصر تتمثل أساسا في تشكيل نتوءات غائرة و اخرى بارزة بشكل عمودي على الجدران (Retraits et Redants) ، مما يضفي عليها جمالا خاصا بفضل التناوب بين النور و ضلال الشمس التي تنعكس على الجدران، و هي من التقاليد المحلية التي ترجع إلى عهد السومريون كما نشاهد ذلك في زاقورة أور، كما تساهم اقواس البوابات و المداخل في جمالية هذه القصور.

شكل رقم 4 : رسم قديم لأحدى بوابات قصر دور شاروكين

غير أن أجمل ما في هذا القصر و بقية القصور و المدن الأشورية هو بواباتها الضخمة، و هي ذات أقواس نصف دائرية مزينة بأزهار (شكل رقم 4) و تغطيها أقبية نصف دائرية، و على جانبي المدخل ثيران مجنحة، و التي تُعد العلامة المميزة للفن الأشوري، و هي تمثل حيوانات خرافية تسمى شيدو أو لاماسو (**Shedu ou lamassu**)، جسمها جسم ثور، لها أجنحة نسر، و ذات رؤوس أدمية، تكون دائما على زوج على جانبي بوابات المدينة و القصر، لحمايتها من الأرواح الشريرة.

PDF Creator Trial

نحتت هذه الثيران في كتل حجرية ضخمة بعضها يزن أربعة أطنان، و تتميز بدقة عالية في النحت و بواقعية كبيرة، تظهر في عضلات الثيران، و في ملامح وجهوها الأدمية، و في نحت أدق تفاصيل الأجنحة و حتى اللحية (صورة رقم 1 و 2 و شكل رقم 5)

صورة رقم 1 : ثوران مجنحان من قصر دورشاروكين

صورة رقم 2 : تفاصيل أحد الثيران المجنحة

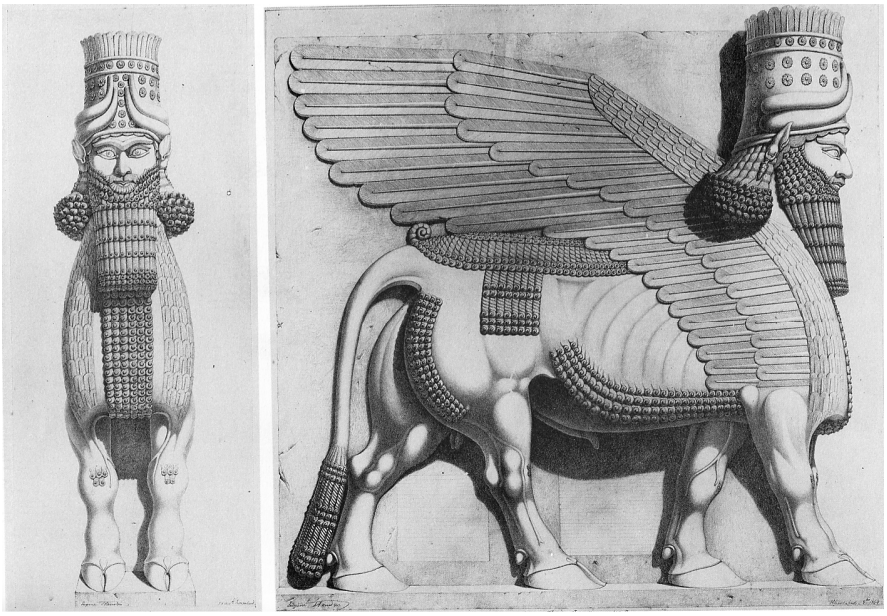

شكل رقم 6 : رسم لأحد الثيران المنجحة من قصر دورشاروكين

PDF Creator Trial

الزخرفة الداخلية للقصر

كانت جميع غرف و قاعات القصور الأشورية مزينة بشكل كامل بالزخارف المتنوعة من الأرضية إلى غاية السقف، و وفق تقنيات مختلف، فالجزء السفلي من الجدران كانت مكسوة بلوحات حجرية منحوتة (Orthostates)، و ما تبق من الجدران تكون مزينة إما بالرسم بالالوان (Fresques)، أو بواسطة الأجر ذو المينا (Briques émaillés).

اللوحات الحجرية (Orthostates): كما سبقت الإشارة إلى ذلك فإن القصور الأشورية كانت مبنية كليا بالأجر المشوي الذي يعد المادة الأساسية في بلاد الرافدين منذ العصر العتيق لأفتقاد البلاد للحجارة، غير أن الأشوريين ابتكروا تقنية جديدة للزخرفة في قصورهم، و ذلك باستعمال لوحات حجرية رقيقة تسمى (Orthostates) لكسوة الأجزاء السفلية من جدران القصور المبنية من الأجر، و على هذه اللوحات الحجرية نحتت بتقنية النحت البارز مواضيع زخرفية متنوعة تمتد بطول جدران قاعات و غرف القصر. و تعد هذه اللوحات الحجرية المنقوشة إلى جانب الثيران المجنحة أبرز ما وصلنا من الفن الأشوري، و تمدنا هذه اللوحات بمعلومات ثمينة لا تقدر بثمن عن الأشوريين خاصة، و منطقة الشرق الأوسط القديم عامة، و تنوعت المواضيع المنحوتة على اللوحات الحجرية من مواضيع حرب، مواضيع الصيد، مواضيع الإستجمام، و بدرجة أقل المواضيع الدينة. و نحتت هذه المواضيع على مساحات واسعة تمتد بطول الجدران لرواية تلك الأحداث بطريقة مسرحية واضحة و مفهومة لمشاهدها.

المواضيع الحربية

وصلنا الكثير من اللوحات التي نحتت عليها مشاهد حربية تمثل حصار المدن و القلاع و تدميرها و حرقها، و قتل الأعداء (صورة رقم 3)، و كانت هذه المنحوتات تلعب دورا كبيرا في الدعاية لسياسة الأشوريين، فهي رسالة ترهيب واضحة موجهة للأعداء و الأصدقاء، لحثهم على الطاعة و عدم الثورة و إلا سيكون مصيرهم مثل مصير الشعوب و المدن الممثلة على تلك اللوحات. و تعد هذه اللوحات مرآة لذلك العصر، فمن خلالها تعرفنا على أساليب القتال عند الأشوريين، و الألات الحربية المستعملة في الحصار و القتال، و الأسلحة، و اللباس...الخ.

صورة رقم 3 : مشهد حصار مدينة مع مشاة و غواصين

PDF Creator Trial

مواضيع الصيد

مواضيع الصيد كانت المواضيع المحببة لدى الملوك الأشورية، فهو نشاط ملكي يمارسه الملك وحده، و خاصة صيد الأسود (صورة رقم 4)، ففي الواقع هو نشاط ترفيهي و تمرين عسكري، و قد أولى الملوك الأشوريين اهتماما كبير للصيد، من خلال العناية الفائقة بالخيول (صورة رقم 5) التي كانوا يستعملونها في الصيد و في الحروب، و كذلك العناية بتربية كلاب الصيد (صورة رقم 6). و غالبا ما نشاهد في هذه اللوحات الملك رفقة حشيته في حملة صيد الأسود، و دائما الملك يتمكن من التغلب على هذه الحيوانات رمز القوة و الشجاعة، كرسالة للتعبير عن قوة و شجاعة الملك.

صورة رقم 4 : مشهد صيد الأسود

و من الناحية التقنية تعد مشاهد الصيد أجمل ما أنجزه النحات الأشوري، فهي تتميز بدقة عالية و واقعية كبيرة نادرا ما نشاهده في فنون الشرق القديم، و يظهر ذلك واضحا في ادق تفاصيل جسم الحيوانات و بشكل خاص الخيول و الأسود و بالشد العضلي لتلك الحيوانات حسب أوضاعها و حركاتها، بل تمكن النحات الأشوري في بعض الأحيان من التعبير عن الألام الداخلية للحيوان كما يبدو على مشهد لبؤة جريحة و هي تحتضر (صورة رقم 7)

صورة رقم 6 : مشهد لكلاب الصيد

صورة رقم 5 : مشهد العناية بالخيول

PDF Creator Trial

كما أن نلاحظ أيضا دقة عالية في تمثيل الرجال، و عناية كبيرة في تمثيل تفاصيل اللباس و حتى في تصفيفة الشعر و اللحية.

صورة رقم 7 : مشهد للبؤة جريحة تحتضر

مشاهد من البلاط، و هي غالبا ما تمثل الإمبراطور الأشوري رفقة زوجته في حدائق قصره، و هي تعطينا فكرة عن الحياة في البلاط الأشوري، و خاصة عن ولع الأشوريون بالحدائق، و استمتاعهم بالشرب و الأكل تحت ظلال الأعناب و هم يستمتعون بسماع الموسيقى، (صورة رقم 8) كما تمدنا بالكثير من المعلومات، منها أنواع النباتات، و الأثاث، و الألات الموسيقية و حتى عن الأسترخاء و الأكل و الشرب.

صورة رقم 8 : مشهد الملك أشوربانيبال في حديقته يستمتع بالشرب و الموسيقى

المواضيع الدينية

و هي قليلة مقارنة بالمشاهد الحربية و مشاهد الصيد، و هي في غالب الأحيان ما تمثل الملك الأشوري رفقة مخلوقات خرافية اجسامها بشرية، مجنحة، و رؤوسها تكون إما رؤوس نسور، أو رؤوس أدمية على رأسها تاج الألهة، تحمل في يد كوز الصنوبر (pomme de pin) و في يد أخرى يحمل إناء على جانبي شجرة مركزية و هي شجرة الحياة مما يؤدي إلى الأعتقاد ان ذلك مرتبط بطقوس خاصة بالخصوبة (صورة رقم 9)، تحت رعاية الأله أشور الذي يمثل رجل ملتحي على ركبتيه بداخل قرص الشمس المجنح.

PDF Creator Trial

صورة رقم 9 : مشهد يمثل الملك أشوربانيبال والمخلوقات المجنحة حول شجرة الحياة

صورة رقم 10 : شاهد ديني

كما وصلتنا العديد من الشواهد الدينية، تمثل الملوك الأشوريين و ضعية جانبية و فوق رؤوس هم مجموعة من الرموز التي ترمز إلى العديد من الهة بلاد الرافدين، منها أنو، و شمش، و سين و عشتار (صورة رقم 10).

الأجر ذو المينا (briques émaillés)

إذا كانت الأقسام السفلية من جدران القصور مكسوة باللوحات الحجرية المنحوتة، فإن الأجزاء العلوية كانت مزينة بلوحات من الأجر ذو البريق المعدني، و هي تقنية جديدة سأتعرض لها لاحقا

برسومات بالألوان، و هي تتشكل من ثلاث مستويات أفقية، مستوى سفلي، و مستوى علوي ضيقان مزينان إما بأشكال هندسية، أو بأزهار او بحيوانات خرافية تتكر بطول المستويين، أما المستوى الأوسط فهو عريض، و يكون مزين بنفس المواضيع التي نشاهدها منحوتة على اللوحات الحجرية و بنفس الأسلوب

استعمل الأشوريون أيضا الرسم بالألوان لتزيين قصورهم، و أقدم النماذج التي وصلتنا ترجع إلى عهد تيكولتي–نينورتا من مدينة أشور (صورة رقم)، و هي عبارة على ورود و أشكال هندسية ز حيوانية، غير انها قليلة، البعض الأخر من قصر دورشاروكين فمثل الملك سرجون امام إله (صورة)

لكن اهم الرسوم الملونة وجدت بقصر تل برسيب (تل أحمر) بالشمالي الشرقي من سوريا و الذي اكتشفت به خلال الحفريات التي تمت به بين سنوات 1929 – 1931 م حيث كانت أغلب قاعات القصر مزينة بلوحات الفرسكو فقط

PDF Creator Trial

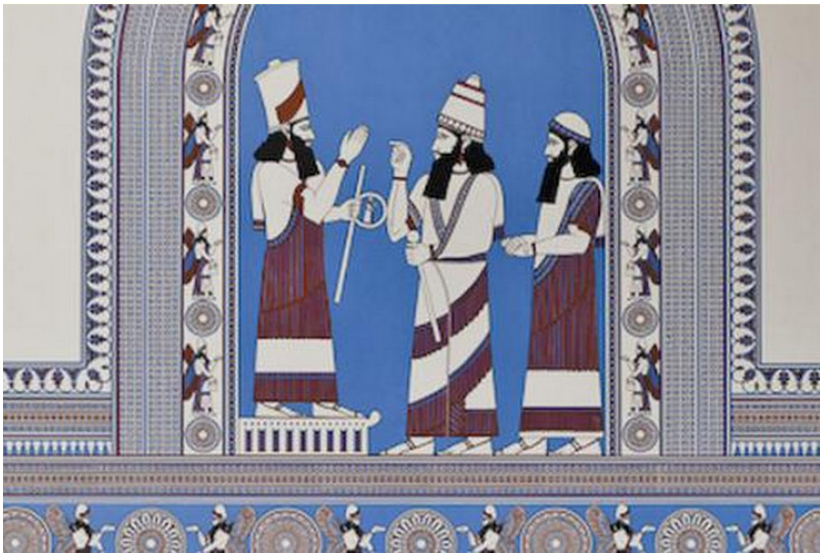

و يعد قصر تل برسيب بسوريا القصر الوحيد الذي استعملت فيه تقنية الرسم بالألوان لوحدها لتزيين جدران القصر (صورة رقم 11) و يعتقد أنها انجزت في الفترة الممتدة ما بين 744 ق.م و 627 ق.م و هي تمثل خاصة مشاهد الصيد مماثلة لتلك المنحوتة على اللوحات الحجرية في القصور الأشورية بنيمرود، دورشاروكين و نينوى.

صورة رقم 11 : رسوم قصر تل برسيب (سوريا)

PDF Creator Trial

فنون بلاد الرافدين في عهد الدولة البابلية الحديثة

إن الأثار الحالية تعود في مجملها إلى عهد الملك بوخذنصر و نابونيد، و التي تزال في مجملها مطمورة تحت رمال الصحراء، و لحسن الحظ وصلتنا خمسة الواح طينية تسمى (طبوغرافية بابل)، Topographie de Babyloneو هي غنية بالمعلومات عن تخطيط المدينة، و اهم مبانيها و أساميها، و مظهرها و عادات سكان المدينة. و كان الهدف من هذه اللوحات هدف ديني حيث حاول كهنة بابل تمجيد المدينة و شرح سر اهميتها الدينية.

أهم ما يميز مدينة بابل هو تخطيطها بشكل مستطيل منتظم (شكل رقم 01)، يخترقها نهر الفرات، و مقسمة إلىَ 10 احياء : 6 على الضفة الشرقية و 4 على الضفة الغربية للنهر، و كانت مباني هذه الأحياء منتظمة وفق شوارع رئيسية موازية للنهر تتقاطع مع شوارع ثانوية عمودية عليه تتقاطع بزوايا قائمة و هو التخطيط الذي يسمى المخطط الشطرنجي، و لكل حي به معبد.

بوسط المدينة تقع المدينة الداخلية، يحيط بها صور مزدوج من الآجر، طوله 6 كم، كانت تتخلله 8 أبواب عثر على بقايا أربعة منها. و يتخللها شارع الاحتفالات الرسمية يمتد من الشمال إلى الجنوب، تم الكشف على 900 م منه، و على جانبيه جدران ارتفاعها 7 م كانت تؤدي من بوابة عشتار في الجهة الشمالية إلى غاية الزاقورة، تذكر المصادر التاريخية إلى 43 معبد تم الكشف على البعض منها.

شكل رقم 01 : مخطط مدينة بابل في عهد بوخذنصر

PDF Creator Trial

لقد ابهرت اسوار المدينة المؤرخين القدمى الذين اعتبروها واحدة من عجائب العالم، و يذكر المؤرخ اليوناني هيرودوت أنها كانت بطول 64 كم (360 ستاد)، و قد شرع في بناءها نابوبولاسار و أكملها بوخذنصر.

و كانت هذه التحصينات تتكون من صور داخلي من الطين المجفف سمكه 7 م، يليه بعد مسافة 12 م صور ثان من الآجر المشوي ارتفاعه 7.8 م، ثم صور ثالث من الآجر المحروق أيضا ارتفاعه 3.25 م، يليه خندق يتراوح عرضه ما بين 80 و 100 م، كانت الصورين الأول و الثاني برج كل 18 م، بها 8 أبواب تحمل أسماء تتمثل في عبارات دينية متبوعة باسم أحد الآلهة التي يرجى منها حماية المدينة، و منها، أوراش، زبابة، عشتار، أنليل، شمش، أداد، مردوخ، كانت تنطلق من هذه البوابات الاحتفالات الخاصة بتلك الألهة. الدخول إلى المدينة يتم عبر شارع عظيم بطول 250 م على جانبيه أسوار سمكها 7م، تتخللها ثلاث حصون، و أبراج على مسافات متساوية، و مزينة ب 120 اسدا بالآجر ذو المينا متعددة الألوان.

صورة رقم 01: لوحة زخرفية بالاجر ذو المينا من احد قصور بابل

القصور البابلية

كانت بالمدينة العديد من القصور، منها الضيف، القصر الجنوبي و القصر الشمالي، أهم هذه القصور، القصر الشمالي الذي يغطي مساحة 322 م على 190 م، و هو القصر الي شرع في بناءه نابوبولاسار، و وسعه بوخذنصر، و يتكون من خمس مجموعات من المباني، كل مجموعة تتمحور ساحة مركزية طولها 56 م. قاعة العرش كانت تفتح على الجهة الجنوبية من الساحة المركزية، تبلغ طولها 52 م و عرضها 17 م، و كان العرش في حنية مقابلة للمدخل.

و من الناحية الفنية لم يتبق منها سوى القليل من الزخارف التي كانت تزين جدران ساحات القصر، و هي عبارة عن لوحات من الأجر ذو البريق المعدني زرقاء تزينها زخارف نباتية جميلة عبارة صف من أشجار النخيل باللون البني و الأخضر مشكلة بأسلوب تجريدي بعيدة عن شكلها الطبيعي، و يحيط بها إطار نباتي من الازهار متعددة الألوان شكلت بدورها بأسلوب تجريدي، و هذا ما يؤكد توجه الفن في بلاد الرافدين منذ هذا عهد نحو تمثيل العناصر النباتية بشكل تجريدي بعيدة عن شكلها الطبيعي,

PDF Creator Trial

بوابة عشتار (صورة رقم 02)

و تعد أهم المعالم البابلية التي وصلتنا، و التي تعطينا و لو صورة جزئية عما بلغته العمارة و الفن في عهد الدولة البابلية الحديثة، و قام ببنائها الملك بوخذنصر كما تشير إلى ذلك الكتابة التأسيسية، اكتشفت سنة 1902، حيث تم تفكيكها كليا و أُعيد بناءها في متحف برلين. و عي عبارة عن بوابة ضخمة يبلغ ارتفاعها 23 م، تقع عند المدخل الشمالي المدينة الداخلية، و عندها كان ينهي شارع الاحتفالات، عندما يعود الملك بعد حملاته العسكرية المظفرة أو الاحتفالات الدينية.

صورة رقم 02 : بوابة عشتار

و كان يصل إلى البوابة عن طريق ممر منحدر بعرض ما بين 20 و 24 م، من الأجر و مغطى بالبلاطات الحجرية، و كانت المواكب الاحتفالات الدينية تجتاز البوابة بمحاذاة الجدار الشرقي للقصر الجنوبي، ثم تنحرف غربا حول المجمع الذي يحتضن الزاقورة (I'E-temen-an-ki) لتصل الجسر الذي يجتاز النهر.

البوابة في حد ذاتها (صورة رقم 02) كان يبلغ طولها 48 م و لكن في الوقت الراهن لم يتبق منها إلا القسم الأمامي الذي يبلغ ارتفاعه 23 م، و كانت تتكون من بوابتين بمدخل واحد، كل وحدة مرتبطة بسور المدينة، المدخل ذو عقد نصف دائري و يغطيه قبو مهدي و يحميها برجين على الطرفين و تنتهي بشرَّفات مسننة. و هي مبنية بالأجر المشوي و مكسوة بطبقة خارجية من الاجر ذو المينا أزرق اللون يشكل أرضية او خلفية لعناصر زخرفية متنوعة بارزة و متعددة الألوان، و تتمثل في صفوف من حيوان خرافي و هو التنين و هو رمز الأله مردوخ (صورة رقم 03) و الثور و هو رمز الأله أداد إله

PDF Creator Trial

العواصف و الرعد (صورة رقم 04)، و هي بشكل متناوب باللون الأبيض و الأصفر، و تؤطرها أفاريز جميلة مكون من صف من ازهار الاقحوان البيضاء

و تعد هذه البوابة أروع ما وصلنا من الفنون التي ازدهرت في عهد الدولة البابلية الحديثة و بشكل خاص فن الأجر ذو المينا الذي بلغ في هذه البوابة أرقى مستوياته، و كذلك تشكيل نوع من الاجر ذو العناصر الزخرفية بواسطة تقنية القولبة. و سيكون له لاحقا تأثيرا كبيرا على فنون الشرق القديم خاصة في عهد الأخمينيين و إلى غاية العهد الإسلامي.

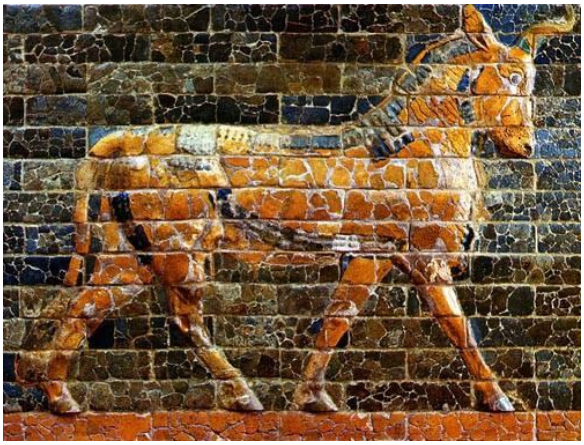

خلاصة

تعد حضارة بلاد الرافدين من بين حضارات العالم القديم التي كان لها دورا رياديا في تطور الحضارة الانسانية بما قدمته من اختراعات و ابتكارات في جميع المجالات. فبلاد الرافدين كانت من أول المناطق التي شهدت ظهور الزراعة و استئناس الحيوانات و ابتكار العجلة و الدولاب و الابداع في صناعة الفخار و تصديره على نطاق واسع. كما عرفت ضهور أولى المدن و القرى في العالم و ضهور اولى المجتمعات الحضرية. و اختراع الكتابة التي كان لها دورا مميزا في تطور الحضارة الانسانية، و يرجع الفضل الى سكان بلاد الرافدين القدامى لتأليف اولى الاشعار و الملحمات في تاريخ البشرية. و في مجالات كثيرة في الدين و الفكر و العلوم و العمارة و الفنون التي انتقلت إلى بلاد اليونان القديمة و منها إلى روما ثم إلى أوروبا، و لا يمكن تصور الحضارة الانسانية التي تسود قسم كبير من العالم لولا ما قدمه سكان بلاد الرافدين القدامى للبشرية في جميع الميادين.

PDF Creator Trial

فنون بلاد اليونان

القديمة

الفن الاغريقي

تمهيد

تعاقبت على بلاد اليونان عدة حضارات بداية من الألفية الثانية قبل الميلادي كان مركزها جزر بحر إيجة ثم جزيرة كريت التي كان لها تأثير على بلاد اليونان القارية أين برزت الحضارة الميسينية ما بين 1700 و 1200 ق.م، ثم دخلت بلاد اليونان في مرحلة من التراجع الحضاري تعرف بالعصور المظلمة إلى غاية القرن الثامن قبل الميلادي، حيث عرفت بلاد اليونان انبعاث حضارة من جديد نتيجة احتكاك الاغريق بالحضارات الشرقية، و بلغت الحضارة اوج ازدهارها ما بين القرنين الخامس و الثالث ما قبل و هو ما يعرف بالعصر الكلاسيكي. و كان للحضارة الاغريقية تأثيرا قويا على الحضارة الرومانية على الحضارة الغربية خاصة في مجال الفكر و الفنون، حيث يعد الفن الاغريقي الكلاسيكي اساس للفنون الغربية غلى يومنا هذا.

الخزف

لقد ظهر فن الخزف في الشرق القديم، و منها انتقل بلاد اليونان أين بلغ مستوى فني راق لم يبلغه في أي حضارة من حضارات العالم القديم. و يعود فن الرسم على الخزف إلى الألف الثاني قبل الميلاد عندما بدأت حضارات بحر إيجة في تشكيل الخزف بواسطة الدولاب, فقد انتجت الحضارة الميناوية خلال العصر الميناوي الوسيط خزف مزين بخطوط منحنية و بحلزونات. و خلال العصر الميناوي الحديث القرن XV أصبحت الزخرفة تصويرية تستمد مواضيعها من الطبيعة من حيوانات و نباتات. اما الخزف الميسيني فكان متأثر بالخزف الميناوي غير ان المواضيع المستمدة من الطبيعة اصبحت ترسم بشكل تجريدي.

و قد وصلتنا كمية هائلة من الأواني الخزفية الاغريقية منها حوالي 50000 قطعة من اثينا وحدها، و تعد سجلا غنيا بالمعلومات عن الحضارة الاغريقية في جميع جوانبها. و يصنف الخزف الاغريقي إلى التصنيفات التالية.

النمط الهندسي العتيق (période protogéométrique)

تعد الأواني الخزفية التي ترجع إلى هذه الفترة (1050–900 ق.م) الدلائل الوحيدة التي وصلتنا عن القرون المظلمة، التي عرفت اختفاء الفنون التي كانت مزدهرة في بلاد اليونان في العصر الميسيني، بحيث لم تصلنا أية أثار تذكر عن النحت أو الرسم من هذه الفترة التي تراجعت فيها جميع الفنون إن لم تختفي تماما. اما إنتاج الخزف فلم ينقرض خاصة في مدينة أثينا. اواني هذه الحقبة كانت مزينة باللون الأسود، تتمثل في اشكال بسيطة من الخطوط المتموجة مرسومة باليد مقتبسة من الخزف الميسيني (صورة رقم 01)، و ضهور اشكال جديدة مثل أنصاف الدوائر، و الدوائر المتتالية و لها نفس المركز و مرسومة بشكل أفضل عن طريق الفرجار أو المشط. و مع ذلك فيهي رسوم بسيطة تتلاحم و اشكال الأواني بحيث تحدد شكل الانية بواسطة خطوط أو أشرطة عريضة أفقية. و يعد موقع (Lefkandi) أهم موقع اكتشف فيه هذا النوع من الخزف

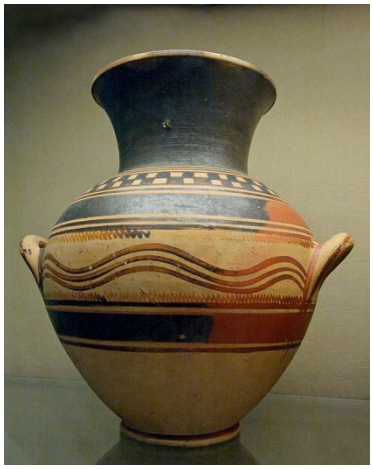

صورة رقم 01: نموذج من الخزف الهندسي العتيق

PDF Creator Trial

الأسلوب الهندسي

ازدهر الخزف الذي يصطلح على تسميته بالخزف الهندسي ما بين القرنين IX و القرن VIII ق.م و تميز بظهور اشكال جديدة من الزخارف المرسمة على الخزف، و الابتعاد عن الاشكال التي كانت معهودة في الخزف الميناوي و الخزف الميسيني و تتمثل في الخطوط المتموجة الاغريقية، المثلثات و اشكال هندسية متنوعة و منها اشتقت التسمية. و كانت ترسم في اشرطة تفصلها عن الأجزاء السوداء بثلاث خيوط. و مع مرور التوازن بين الأقسام السوداء و الأقسام المزينة تراجع لحساب الزخرفة بحيث اصبحت الآنية بكاملها مزينة بتلك الأشكال الهندسية و الخطوط المتموجة (صورة رقم 02). و خلال المرحلة الأولى من هذه الفترة (الهندسي الأوسط 900-850 ق.م) لا نجد سوى الزخارف الهندسية و استعمال اللون الأسود. أما خلال المرحلة الثانية (الهندسي الوسيط 850-770 ق.م) ظهرت الزخرفة التصويرية اي تلك التي تعتمد على الكائنات الحية من حيوان و إنسان.

و كانت تتمثل في بداية الأمر من أفاريز من الحيوانات (أحصنة، أيل، ماعز، بط...إلخ) تتناوب مع أشرطة من الزخارف الهندسية. نفس الوقت الزخرفة أخذت تتعقد و تتكاثر بحيث لا يترك مساحات عارية بدون زخرفة و أصبحت مكسوة بالزهيرات و الصلبان المعقوفة و امتد هطا هذا الأسلوب الذي يصطلح على تسميته بالخوف من الفراغ إلى غاية نهاية فترة الخزف الهندسي.

و في منتصف القرن الثامن ق.م ظهرت الأشكال الأدمية على الآواني الخزفية. اشهرها تلك التي تزين الأواني التي عثر عليها في منطقة ديبلون (Dipylon) و هي مقبرة أثينا. فشقف هذه الأواني الجنائزية الكبيرة، تحمل زخارف تمثل مواكب مشاهد جنائزية مثل مشهد عرض أو حمل نعش الميت (صورة رقم 03) و كذلك رسوم عربات و محاربين و مشاهد

صورة رقم 03: إناء خزفي مزين بزخارف هندسية و مشهد موكب جنائزي

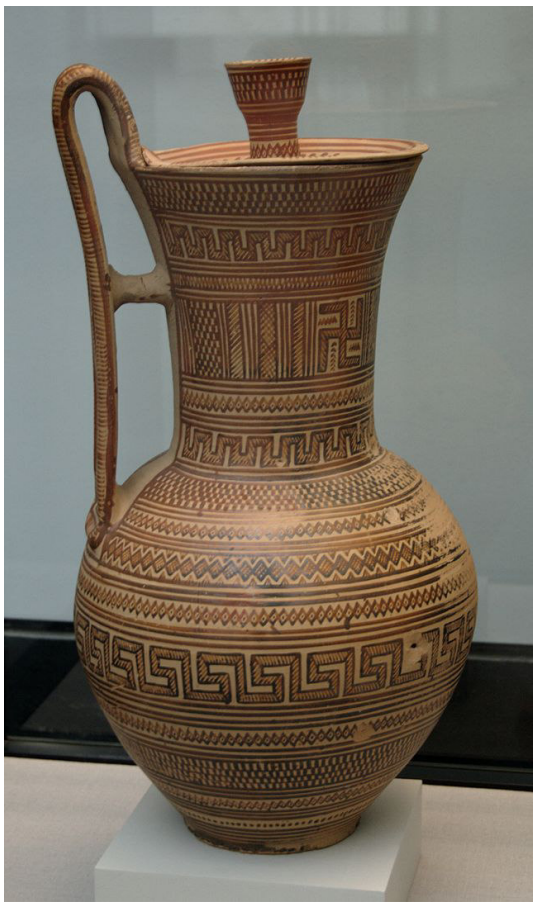

صورة رقم 02: اناء خزفي ذو زخارف هندسية بحتة

PDF Creator Trial

حرب. و الجسم ممثل بشكل هندسي، و في بعض الأحيان الجسم يكوم مخفي وراء الدرع المسمى ديديابولو (dediabolo) أو درع ديبلون بسبب شكله المميز. و في أواخر هذه الفترة ظهرت المواضيع الميثولوجية ربما في الوقت الذي وضع ألف فيها هوميروس ملحمة الألياذة و الأوديسا.

الخزف ذو النمط الشرقي (style orientalisant)

صورة رقم 04: إناء خزفي مزين وفق الأسلوب الشرقي

بداية من سنة 725 ق.م ازدهرت صناعة الخزف بمدينة كورنثة التي كانت تحتل موقعا استراتيجيا على الطرق التجارية للحوض الشرقي للبحر المتوسط، و تمكن خزافي المدينة من ابتكار جديد في زخرفة الأواني خزفية عن طريق الجمع بين الافاريز تتناوب مع أشرطة من العناصر الهندسية المكررة و يعرف هذا الاسلوب بالأسلوب الكورنثي العتيق و كان يستعمل خاصة على الاواني الصغيرة المخصصة للزيوت العطرية المستوردة من الشرق. و قد كان للمبادلات التجارية مع الشرق تأثير كبير على زخرفة الاواني الخزفية المصنوعة في كورنثة، المستمدة من الاقمشة و الكؤوس المعدنية المستوردة من الشرق و لذلك يطلق على هذا النوع من الخزف الاغريقي بالخزف ذو الاسلوب الشرقي (style orientalisant) الذي ازدهر ما بين 700 و 625 ق.م و تتميز برسم أفاريز من الحيوانات (صورة رقم 04) من بينها الحيوانات الخرافية (ابو الهول، العنقاء...الخ) و نباتات مرسومة بطريقة تجريدية (ازهار، أوراق نباتية، زهرة اللوتس) و التي اصبحت الى جانب الخطوط المتموجة عناصر اساسية في الفن الاغريقي,

الخزف ذو الصور السوداء (céramique à figures noires)

صورة رقم 05: نموذج من الخزف ذو الصور السوداء

ظهرت هذه التقنية في ورشات مدينة كورنثة في حوالي 700 ق.م ثم انتشرت في منطقة أتيكا و بشكل خاص في مدينة لإثينا في حوالي سنة 630 ق.م و سرعان ما تفوقت منتوجاتها جودتها منتوجات كورنثة. يتم رسم المواضيع الزخرفية بلون أسود على العجينة، ثم القيام بحزوز عليها لتشكيل التفاصيل التي تظهر بلون العجينة من خلال تلك الحزوز، ثم تضاف ألوان أخرى مثل اللون الأحمر أو البنفسجي للتفاصيل الجسمانية أو اللباس و اللون الأبيض لبعض التفاصيل الأخرى (صورة رقم 05). و يعمل

PDF Creator Trial

الخزَّاف و الرسام بشكل بتعاون كبير. و يتطلب هذا النوع من الخزف ثلاث مراحل من الحرق، المرة الأول في فرن مفتوح للأكسدة للإبراز لون العجينة الأحمر أو البني الفاتح، ثم عملية حرق ثانية في فرن مغلوق تسمح بالتصاق الكربون على العجينة مما يسمح بإبراز الأشكال السوداء، ثم عملية حرق ثالثة للأكسدة في فرن مفتوح بعد تلوين الأشكال السوداء. لقد ظهر هذا النوع من الخزف في مدينة كورنثة كما سبق الذكر، و سيطروا على الأنتاج لمدة قرن من الزمن، و بما ضهور هذه التقنية كان معاصر للأسلوب الشرقي، فإن المواضيع الزخرفية مستوحاة من الفن الشرقي (الحيوانات الخرافية...الخ). غير ان كثرة الطلب عليها، دفع خزافي كورنثة للإنتاج هذا الخزف بشكل صناعي مما ادى ترجع في جودتها.

طور خزَّافي مدينة أثينا تقنية الحرق حتى تصبح الأشكال السوداء لامَّعة، كما توسعوا في استعمال الحزَّات و إضافة الوان أخرى مما أعطى حيوية أكبر للمواضيع المرسومة و المستمدة من الثقافة الاغريقية مثل الاساطير و مشاهد الصراعات و مقتطفات من حرب طراودة...الخ و قد اتقن خزَّافي أثينا هذا تشكيل هذا النوع من الخزف بحيث اصبحت الاواني ذات الصور السوداء على حمراء ميزة خزف مدينة أثينا.

الخزف ذو الصور الحمراء (Céramique à figures rouges)

صورة رقم 06: نموذج من الخزف ذو الصور الحمراء

يرجع اختراع تقنية الصور الحمراء إلى الرسام اندوكيداس (Andokdès) سنة 530 ق.م بمدينة أثينا. يتم انجازها النوع من الخزف باستعمال اللون الأسود لتلوين المساحات المحيطة بالرسوم و التي تبقى بلون العجينة. ثم يقوم الرسام برسم تفاصيل الموضوع بخطوط سوداء بواسطة فرشاة مما يوحي بنوع من العمق. ففي هذا النوع من الخزف عوض الرسام الحزوز التي كانت مستعملة في الخزف ذو الصور السوداء، بخطوط مرسومة باللون الأسود و قد سمحت هذه التقنية برسم مشاهد تروي قصص مستمدة من الاساطير الاغريقية على الاواني بواقعية و بدقة عالية تظهر خاصة في رسم تفاصيل جسم الانسان و ثنايا الثياب و حتى التعابير على الوجه (صورة رقم 06) و الحركية لا ترقى لها الرسوم المنجزة بالتقنية الاولى.

تعايش الرسم بالتقنيتين لفترة، ثم ما لبثت تقنية الصور الحمراء على ارضية سوداء أن تعوض تقنية الصور السوداء على أرضية حمراء التي لم تعد تستعمل إلا في مناسبة أعياد الباناتيني (les panathénés) التي تقام على شرف الآلهة اثينا و تقدم كهدية للفائزين في المسابقات الرياضية خلال هذه الاحتفالات.

الخزف متعدد الألوان

ظهرت في بلاد اليونان في بداية العصر الكلاسيكي يلون قاع بعض الأواني الجنائزية التي كانت توضع فيها الزيوت العطرية (lécythes) باللون الابيض و يرسم عليه باللون الاسود ثم يلون بألوان متعددة. و قد ازدهرت تقنية كثيرا لأنها كانت مناسبة لتمثيل الموتى. و قد انتشرت هذه التقنية خارج بلاد اليونان و ازدهرت بشكل خاص في المستعمرات الاغريقية حيث اختفت تقنية الصور السوداء لتعوضها بالخزف المتعدد الألوان على أرضية سوداء.

PDF Creator Trial

الرسم

الرسم على اللوحات الخشبية

كانت اللوحات المرسومة يتمتع باحترام كبير كما يشير إلى ذلك المؤرخين القدامى أمثال بلين (Pline) و بوزانياس (Pausanias)، و كانت عبارة عن لوحات من الخشب مرسومة بالألوان يمكن حملها و نقلها، منجزة بتقنية الألوان الممزوجة بشمع النحل (peinture à l'encaustique) أو بتقنية التومبيرا (Tempera) و التي تعتمد على استعمال الألوان الممزوجة ببياض البيض. كانت تصور على هذه اللوحات الصور الخاصة للأشخاص (بورتري) او مشاهد دينية أو مواضيع الطبيعة الميتة و قد وصلنا وصف الكثير من هده اللوحات في المصادر التاريخية. و كانت هذه اللوحات تجمع و تعرض في الأماكن العامة حيث يشير بوزانياس إلى مثل هذه العروض في مدينة أثينا و مدينة دلفس (Delphes)، كما ورد في النصوص التاريخية أسماء العديد من الرسامين المشهورين عند الاغريق. و بما ان هذه الرسومات كانت على مواد هشة فقدت اندثرت كليا و لم يصلنا أي عمل من الأعمال المشهورة، و من بين النماذج النادرة التي وصلتنا ثلاث لوحات خشبية ليست بالجودة العالية عثر عليها بمنطقة بيتزا (Pitsa) بالقرب من مدينة كورنثة يعود تاريخها إلى سنة 530 ق.م. و هي عبارة عن أربعة لوحات خشبية طليت بطبقة من الجبس ثم رسم عليها بألوان معدنية (صورة رقم 07)، و هي تمثل مشاهد دينية تمثل نساء صحبة موسيقيين يقدمن قرابين للآلهة الطبيعة (Nymphes)، من حيث التقنية فهي مسطحة و تفتقد إلى العمق و ليست بها ضلال، حيث رسم محيط الشخصيات باللون الأسود ثم استعمال الألوان الاخرى للتفاصيل و من حيث الأسلوب فإن طريقة الأشخاص تشبه إلى حد كبير ما نشاهده من رسومات على الأواني الخزفية التي تعود إلى العصر العتيق.

صورة رقم 07 : نموذج من الرسم على اللوحات الخشبية

PDF Creator Trial

الرسم الجداري

يعود أصل الرسم الجداري إلاغريقي إلى الحضارة الميناوية و الحضارة الميسينية، غير اننا لا نعرف كانت هناك استمرارية بين الفن الجداري في هاتين الحضارتين و الفن الجدار الذي ساد بلاد اليونان لاحقا خلال العصر العتيق و العصر الكلاسيكي. يفهم من المصادر التاريخية أن الرسم الجداري كان منتشرا بشكل واسع في بلاد اليونان خلال العصر الكلاسيكي و الهيلينيستي و قد ورد وصفها عند المؤرخين الاغريق خاصة عند بوزانياس. غير أنه لم تصلنا نماذج عنها لآن مجمل المباني الاغريقية لم تصلنا في حالة حفظ جيدة، ففي غالب الأحيان لم يتبق منها سوى الاعمدة و انهارت أنهارت جدرانها و التي كانت تزينها تلك الرسوم.

إن أقدم نماذج الرسم الاغريقي التي وصلتنا مصدرها المستعمرات الاغريقية بصيقليا و بشكل خاص بمدينة بايستوم (Paestum) و أشهرها رسوم ضريح الغطاس (la tombe du plongeur) حيث زينت الجدران الأربعة للصريح و حتى السقف بزخارف مرسومة بالألوان و يعود تاريخها إلى الفترة العتيقة و الكلاسيكية (470 – 480 ق.م). الجدارين الشمالي

صورة رقم 08 : رسم اللوحة الشمالية لضريح الغطّاس

(صورة رقم 08) و الجنوبي رسم لخمسة أشخاص مستلقين على أسرة في مآدبه عشاء و شرب (Symposium). و على الجدار الغربي لرجلين و امرأة تعزف على الناي يعتقد انها تمثل مشهد موكب احتفالي (Komos)، بينما على الجدار الشرقي مشهد لرجل وقف و خلفه جرة تستعمل لتقديم القرابين السائلة (libation). أما السقف نشاهد عليه رجل يقف من مكان عال يغطس في البحر، و يعتقد ان هذا المشهد يعبر عن المتوفي الذي ينتقل من عالم الاحياء إلى عالم الأموات. عموما فإن رسوم هذه المقبرة تشبه الرسوم التي كانت ترسم على الأواني الخزفية الاغريقية، مع وجود تأثير من الرسم الأتروسكي الذي نشاهده في بعض مقابرهم.

تكمن رسوم هذا الضريح، في كونها اقدم الرسوم التي صور لآدميين، كما انها تشير إلى تأثر الاغريق بالرسم الأتروسكي كما يظهر على المشهد المرسوم على الجدار الغربي، كما تعد أقدم نموذج نشاهد فيه رسوم أدمية.

PDF Creator Trial

أما في بلاد اليونان القارية، فإن اقدم النماذج التي وصلتنا فتعود إلى أواخر العصر وجدت بالمقبرة الملكية المقدونية بمدينة فرجينا(Vergina) باليونان، حيث يوجد رسم فوق مدخل ضريح فيليب الثاني المقدوني (الضريح رقم II) والد الاسكندر الاكبر و رسوم على جدران الضريح المسمى بضريح بارسيفون (الضريح رقم I).

تمثل مشهد صيد ملكي لحيوانات، هو يتكون من 10 صيَّاد و 9 كلاب صيد، مركزه يحتله مشهد صيد أسد و على جانبيه فارسين، يعتقد ان الفارس على اليمين هو فليب الثاني و على يسار الاسكندر الاعظم. و هو مضوع مقتبس من الفن الشرقي الذي كان شائعا عند الأشوريين ثم الاخمنيين، و ربما رمزا للبطل هيركليس الذي يدعون أنهم من سلالته. الاسكندر هو من أمر بإنجاز هذا الرسم وليس والده فيليب الذي قتله، فهو يريد أن يؤكد أحقيته لخلافة فليب على العرش بمباركة الآلهة فهو سليل هيراكليس.

و يتميز هذا الرسم بالتحكم الكبير باستعمال الالوان المتنوعة من ألوان باردة و اخرى دافئة و التوازن بينهما، كما استعملت فيها ايضا أوراق ذهبية مما يساهم في اعطاء مسحة من النور على هذه اللوحة. أما رسم اجسام الاشخاص و ملابسهم فهو مشابه لما نراه على النحت الجداري الكلاسيكي.

صورة رقم 09: ضريح فليب المقدوني

PDF Creator Trial

النحت اليوناني

دخلت بلاد اليونان بعد تدمير الحضارة الميسينة خلال القرن XII ق.م في عهد تسمى بالعصور المظلمة حيث تراجعت الحضارة اليونانية بشكل رهيب في جميع المجالات و لم تصلنا نماذج تذكر عن الفنون في تلك الفترة، و استمر هذا الوضع إلى غاية القرن VIII ق.م حيث شهدت بلاد اليونانية نهضة حضارية و فنية، ساهم فيها وجود علاقات تجارية بين بلاد اليونان و حضارات الشرق القديم خاصة مصر و فينيقيا التي اقتبسوا منها الكثير من الأمور في العمارة و في الفن إلى جانب الأبجدية. و هي الفترة التي تعرف في التاريخ بالعصر العتيق الذي وضعت خلاله أسس الحضارة الإغريقية التي وصلت مرحلة النضج خلال القرن الخامس قبل الميلادي.

التماثيل

تأثر الاغريق القدامى بفن نحت التماثيل في مصر، حيث ان التماثيل اليونانية في هذه الفترة لا تدع مجال للشك من أنها كانت في بداية الأمر تقليد لتماثيل مصر الفرعونية. و قد شاع في بلاد اليونان خلال هذا العصر نوعين من التماثيل : النوع الأول خاص بالرجال و يطلق عليه تسمية (Kouros)، و النوع الثاني خاص بالنساء و يطلق عليه تسمية (Koré).

تشبه هذه التماثيل إلى حد بعيد التماثيل المصرية، فهي تمثل رجال واقفين في وضعية المواجهة (صورة رقم 10)، الرجل اليمنى تتقدم على الرجل اليسرى، و اليدين مضمومتين على الجانبين، كما تتميز بالجمود و عدم الحركة كما هو الحال في التماثيل المصرية، غير ان الأمر الذي يميزها عن هذه الأخيرة انها تمثل رجال عُراة، ذو شعر طويل مضفور و تعلو محياهم ابتسامة، مع التركيز على إبراز قوة الجسم من خلال نحت الصدر العريض و العضلات المفتولة، و كانت هذه التماثيل أصلا لرياضيين كانت توضع كهدايا في المعابد على شرف الآلهة.

صورة رقم 11: : كوروس من الفترة المتأخرة من العصر العتيق

صورة رقم 10: كوروس من الفترة المبكرة من العصر العتيق

PDF Creator Trial

اما من الناحية التقنية ففي التماثيل نشاهد عدم الدقة في نقش تفاصيل جسم الأنسان، و الذي يعود إلى قلة مهارة النحات و عدم معرفته بالتفاصيل التشريحية لجسم الإنسان، غير انه مع مرور الوقت نشاهد تطور ملحوظ في نحات تفاصيل جسم الإنسان مما يدل على تحكم النحات مع الوقت في تقنية النحت الحجارة و بمعرفته بجسم الإنسان. و إذا كانت التماثيل الأولى تتميز بالجمود، فإن نلاحظ بعض الحركية في التماثيل المتأخرة كما (صورة رقم 11) كما حاول الإغريق في بداية الامر محاكاة المصريين بنحت تماثيل كبيرة الحجم، غير انهم سريعا ما تخلوا عن ذلك لنحت تماثيل غالبا ما تكون عادية الحجم أو صغيرة. إذا كان النحات الإغريقي في بداية الأمر قام بتقليد التماثيل المصرية، غير انه سرعان ما تخلص من التأثيرات المصرية و إنجازها وفق رؤية جديدة و ذوق جديد تمليه الثقافة و الروح الإغريقية لتصبح للنحت الإغريقي شخصيته الخاصة و المميزة خلال العصر الكلاسيكي.

أما النموذج الثاني المميز للعصر العتيق فهو تماثيل النساء، و هي تشبه في هيئتها العامة تماثيل الكوروس، و لكن تختلف عنها بكونها ليست عارية و إنما ترتدي لباس طويل ذو ثنايا يغطي جسمها بالكامل، و على ملامحها بسمة عريضة و عيون لوزية الشكل، تحمل في غالب الأحيان يديها قرابين للآلهة. كما هو الحال بالنسبة لتماثيل الرجال، نلاحظ أن التماثيل الأولى كانت تفتقد إلى الدقة، التي نلاحظها في التماثيل الحديثة، مما يدل على التطور التدرجي لدى النحات الإغريقي. و كانت هذه التماثيل في الأصل ملونة بألوان زاهية لا تزال بعضها يحتفظ ببعض من ألوانها الأصلية (صورة رقم 12 و 13).

صورة رقم 13: تمثال كوري من الفترة المتأخرة (العصر العتيق)

صورة رقم 12: نموذج من تمثال كوري من الفترة المبكرة

(العصر العتيق)

PDF Creator Trial

شهدت مختلف الفنون خلال العصر الكلاسيكي (480–430 ق.م) تطورا مذهلا و بشكل خاص فن نحت التماثيل التي فقدت الجمود الذي كانت تتميز به و اصبحت أكثر إنسانية و واقعية، تغيرت الوضعيات و تغيرت التعابير إلى حد المبالغة. كما اصبحت مرآة لفكر لأنسان بما يختلج نفسه من قلق و تساؤلات حول مصيره. فالرجولة الخشنة التي كانت تميز تماثيل الرجال العصور السابقة عوضها نوع من الشهوانية على تلك التماثيل و التي زاد من حدتها نعومة سطح الرخام المصقول. كما ظهرت مواضيع جديدة، و الحركية، بينما تماثيل النساء لم يعد جسمها مغطى تماما و إنما أصبح عريا جزئيا و يلتصق به الثياب ذو الثنايا المدروسة بعناية.

صورة رقم 14 : تمثال شاب كريتيوس (Ephèbe de Critios)

عرف نحت التماثيل بداية العصر الكلاسيكي الابتعاد التدريجي عن وضعية المواجهة و ايجاد طرق جديدة لتمثيل جسم الانسان. و إن استمر نحت تماثيل الكوروس و الكوري نلاحظ غياب الابتسامة التي كانت تعلو وجوهها، و كذلك الاتجاه نحو التمثيل الطبيعي لجسم الانسان و كيفية التعامل معه. فخلال هذه الفترة تظهر بادية القواعد التي سيعتمد عليها لاحقا الفن الاغرقي, فخلال هذه الفترة المبكرة من العصر نشاهد المحاولات الاولى للتخلص من الجمود الذي كان يميز تماثيل العصر العتيق، و إن كانت التماثيل تبدو في وضعية المواجهة فإن وضعيتها تختلف قليلا عن التماثيل السابقة كما تتميز بنوع من الخفة و الرشاقة. و يبدو الاختلاف في الوضعية واضحا في القسم السفلي من الجسم، حيث نجد كل ثقل الجسم يرتكز على الساق اليمنى و بالتالي تحرر الساق اليسرى التي تنحني قليلا و تتقدم نحو الامام، و رغم ان القدمين يبقيان ملتصقين بالارض، هذا ما يؤدي إلى حدوث ميل في الحوض و لكن لا يؤثر على القسم العلوي من الجسم، و بالتالي هناك تعارض بين ديناميكية و بداية حركية في القسم السفلي من الجسم و جمود في القسم العلوي منه و يظهر ذلك جليا في تمثال (l'Ephèbe de Critios) (صورة رقم 14). و إذا كانت الذراعين ملتصقين بالجسم في التماثيل العتيقة، ففي الفترة فإن الذراعين يرتفعان و ينفصلان عن الجسم فيساهمان مع الرجلين في إعطاء ديناميكية و حركية للتمثال، و يبدو ذلك جليا في تمثال رامي القرص (صورة رقم 15) للنحات ميرون حيث

PDF Creator Trial

ان الرياضي في وضعية ساكنة يستعد لرمي القرص، لكن وضعية يديه و رجليه و الشد العضلي على عضلات البطن و الصدر يعطي حركية و حيوية كبيرة لجسم التمثال ككل، نفس الملاحظة على تمثال زيوس أو ديونيوس و هو في وضعية استعداد لرمي البرق (أو السهم ثلاثي الرؤوس) و تبدو عليه حركية بفضل وضعية الذراعين الممدودتين استعدادا للرمي و ما يتبعها من شد على عضلات البطن و الصدر و الرقبة و التفاتة الرأس في اتجاه الهدف يساهم في حركية التمثال (صورة رقم 16). و مع ذلك تبقى هذه التماثيل ثنائية الابعاد لا يمكن التمتع برؤيتها سوى في وضعية المواجهة. من جهة ثانية نلاحظ اختفاء تلك الابتسامة كانت تميز تماثيل الكوروس لتصبح ملامح الوجه تتميز بالهدوء و الرزانة التي اصبحت ميزة التماثيل الاغريقية الكلاسيكية، و كذلك اعطاء عناية أكبر في نحت ثنايا اللباس. غير أن أهم ما يميز هذه الفترة هو الاتجاه نحو تقنين كيفية تمثيل جسم الانسان باتباع نسب مدروسة للوصول إلى التعبير على الشكل الكامل لجسم الانسان.

صورة رقم 15 : رامي القرص

صورة رقم 16 : الإله زيوس أو بوزيدون

بوصول بريكلاس إلى الحكم في مدينة أثينا في حدود سنة 455 ق.م و انتهاء الحروب الميدية سنة 449 ق.م، عرفت بلاد اليونان و بشكل خاص مدينة أثينا ازدهارا في جميع المجالات بما في ذلك المجال الفني، و ضهور نحاتين كبار كان لهم دورا مهم في تطوير فن النحت الاغريقي و هي الفترة التي تعرف بالعصر الكلاسيكي الأول.

لجأ النحاتون الاغريق إلى الاعتماد على نسب رياضية صارمة في نحت تماثيلهم و بشكل خاص من طرف النحات بوليكليت (Polyclète) الذي ألف كتابا يشرح فيه القوانين أو النسب التي يجب احترامها في نحت التماثيل و الذي اصبح قانونا قام عليه النحت في العالم القديم. و إلى جانب ذلك فإن أهم ما جاء به هذا النحات هو الخروج على وضعية المواجهة التي كانت تعتمد عليها التماثيل السابقة بحيث يمكن التمتع بالنظر إلى تلك التماثيل من عدة زوايا، و إعطائها حركية و ديناميكية أكبر، و يظهر ذلك بشكل خاص في أشهر تماثيله و هما تمثال الدوريفور (Doryphore) (صورة رقم

PDF Creator Trial

17) و تمثال ديادومان (Diadumène) (صورة رقم 18) و قد توصل إلى تلك الحركية من خلال جعل رجل تنحي قليلا نحو الخلف و بالتالي فإن حافر لقدم يرتفع و ينفصل عن الارض، و يصاحبه ميل في خط الخسر مما يعطي حركية للقسم السفلي من الجسم، غير ان هذه الحركية تمتد إلى القسم العلوي من الجسم حيث نشاهد ميل في خط الصدر و الكتفين في الاتجاه المعاكس لميل خط الخسر و هذا ما يطلق عليه وضعية (contrapostto). و قد صاحبت هذه الوضعية مقاسات صارمة في نحتت مختلف اعضاء الجسم منها جعل طول الجسم سبعة أضعاف طول الرأس، و المسافة بين رأس الثديين بطول مشط القدم...إلخ. إلى جانب بوليكلت ظهر نحاتا كبيرا و هو فيدياس الذي قام بنحت تماثيل من العاج و الذهب للآلهة أثينا و الإله زيوس غير انها لم تصلنا، و إنما وصلنا قسم من النحت الجداري الذي كان يزين جدران و واجهتي معبد البارتنون في أثينا. و قد اتبع فيدياس قواعد بوليكليت من حيث النسب و الخروج وضعية المواجهة، و تتميز منحوتاته خاصة بالحركية الكبيرة و الديناميكية للشخصيات الممثلة على منحوتاته و وضعيات جديدة، كما نلاحظ عليها العناية الفائقة و الدقة الكبير في نحت ثنايا الثياب الملتصقة بالاجسام تبعا لحركاتها لنرى من خلالها تفصيل الجسم و حركاته.

صورة رقم 17 : تمثال الدوريفور لبيريكليت

صورة رقم 18 : تمثال الديادومين لبريكليت

PDF Creator Trial